دور المهندار في مصر والشام في العصر المملوكي

(٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

دكتور

محمد السيد محمد فياض

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الآداب – جامعة طنطا

ملخص البحث :

تبحث هذه الدراسة فى ماهية وظيفة المهمندار فى العصر المملوكى ، والتى يمكن أن نعتبرها واحدة من أبرز الوظائف فى النظام الإدارى فى العصر المملوكى فهو المسؤول عن رعاية الضيوف والاستقبال في دار الضيافة أو قصر السلطان وكأنه مدير العلاقات والمهمات ، وقد جاءت أهمية هذه الوظيفة من طبيعة عملها البروتوكولى والحساس من حيث التعامل مع الوفود الرسمية القادمة فى مهام دبلوماسية ، وتنظيم وإستقبال هذه الوفود والعمل على جعل إقامتهم فى مصر إقامة متميزة مضيافة كشكل من أشكال التعبير على حجم مصر كدولة مستضيفة وما يمكن أن تقدمه لضيوفها وبالطبع فقد كان المهمندار مسؤول عن كل هذا ، وبالإضافة للمهام البروتوكولية فقد تم تكليف بعض المهمندارية بمهام ذات طبيعة خاصة من قبل السلطان نفسه ، كل هذه المهام أدت لاتساع صلاحيات المهمندار وإتساع دائرة علاقاته ونفوذه ، فاكتسب وضعاً اجتماعياً مميزاً انعكس على حياته ومكانته والسعى الدائم للتقرب منه والعبور من خلاله لتحقيق مصالح ومكتسبات .

بالإضافة لذلك فقد كان للمهمندار أدوار حضارية أخرى لا تقل أهمية عن أعمالهم السياسية ، وبشكل واضح فقد كانت لهم بصمات ملموسة فى النواحى العمرانية ، فضلاً عن النزوع الثقافى لبعض الأسماء المرموقة منهم والتى كان لها دور ثقافى وفكرى مميز .

Abstract

The job of the Mahmandar is one of the most prominent jobs in the administrative system in the Mamluk era, as he is responsible for caring for guests and receiving them in the guest house or the Sultan's palace as if he was the manager of relations and missions. The importance of this job came from the nature of his protocol and sensitive work in terms of dealing with official delegations coming on diplomatic missions. Organizing and receiving these delegations and working to make their stay in Egypt a distinct and hospitable stay as a form of expression of the size of Egypt as a hosting country and what it can offer to its guests. Of course, the Mahmandar was responsible for all of this.

In addition to the protocol tasks, some Mahmandars were entrusted with tasks of a special nature by the Sultan himself. All of these tasks led to the expansion of the Mahmandar's powers and the expansion of his circle of relations and influence, so he acquired a distinguished social status that was reflected in his life and status and the constant endeavor to get close to him and cross through him to achieve interests and gains.

In addition, the Mahmandars had other civilized roles that were no less important than their political actions, and clearly they had tangible imprints in the urban aspects, in addition to the cultural propensity of some of the prestigious names among them, which had a distinctive cultural and intellectual role

دور المهمندار في مصر والشام في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

يتميز تاريخ العصر المملوكى بحالة من الزخم والخصوصية نتيجة اتساع الفترة الزمنية فضلاً عن التنوع الاجتماعى والثقافى والوضع الاقتصادى وغير ذلك من مقومات هذا التاريخ ، بالإضافة إلى ذلك فإن أحد أبرز حيثيات هذا الزخم هو الهيراركية الإدارية والنظم الرسوم التى تميز بها العصر المملوكى من تنوع كبير فى الألقاب والوظائف ، فقد تميز الجهاز الادارى المملوكى بدرجة كبيرة من الاحتراف والتنوع وتفويض السلطة حتى فى أبسط المهام الإدارية ، هذا التنظيم الإدارى المحكم أفرز تخصصات ووظائف بالغة التنوع ودقيقة التخصص ، وتتناول هذه الدراسة إحدى أبرز هذه الوظائف وهى وظيفة المهمندار .

مصطلح الدراسة :

المهمندار لغة : هو مركب من لفظين فارسيين :أحدهما مهمن بفتح الميمين ومعناه الضيف، والثاني دار ومعناه ممسك،ويكون معناه ممسك الضيف، والمراد المتصدي لأمره[١] ، كما يُعرف بعض المعاصرين للعصر المملوكي أن أصل هذه الكلمة الفارسية :مهمان دار ومعناها ملتقى الضيوف[٢].

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية بيروت، (د.ت)،ج٥،ص٤٣١، ٤٣٢؛ ص١١٥٣؛ حسان حلاق،عباس الصباغ: المجمع الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية دار العلم ، بيروت ،١٩٩١م،ص٢١٤؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م،ج٣، ص١١٥٣ ؛ وراجع أيضاً : نجلاء مصطفى عبد الله شيحة : الجاليات الأوربية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة بنى سويف ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٤ .

(٢) القلقشندي: صبح الأعشي،ج٣،ص٥٥٩؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٨هـ،ج٢،ص٣٨٤ .

وحسبما نعتت بعض الطروحات مصطلح المهمندار بأنها كلمة فارسية وتركية تطلق على المسؤول عن رعاية الضيوف والاستقبال في دار الضيافة أو قصر السلطان وكأنه مدير العلاقات والمهمات(١).

ووفقاً لتعريفات أخرى ساهمت بشكل أفضل فى نحت وبلورة مصطلح المهمندار بأنه مشرف السلطان الذي يتصدى لتلقي الرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة(٢) ويتحدث في القيام بأمرهم(٣) كما أنه المنوط بالرجوع له فى كل ما يتعلق بإدخال المراسيم وإخراجها(٤) ، وكانت في الدولة الفاطمية لا يليها إلا أعيان العدول، وأرباب العمائم، وينعت أبدا بعدي الملك (٥) .

واستمراراً فى تفكيك مصطلح الدراسة فقد ذكر البعض بأن المهمندار عُرف قبل العصر المملوكي بأنها الخدمة المعروفة: بالنيابة للقاء المرسلين، وهذه المهمة ليست باليسيرة بل هي خدمة جليلة حسبما ذكرت المصادر ، يقال لمتوليها النائب، ويُنعت بعدي الملك، ويمكن أن نستعين هنا بنص القلقشندى الذى حدد اختصاصات المهمندار بشكل تفصيلى فيشرح أن المهمندار هو من ينوب عن صاحب الباب في لقاء الرسل الوافدين على مسافة، وإنزال كل واحدة في دار تصلح له، ويقيم له من

---

(١) سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م،ص٤٧٨ .

(٢) وجدت دار الضيافة بميدان القصر الغربي الذي يعرف بالخرنشف بحارة برجوان، وكانت هذه الدار أولا تعرف :بدار الأستاذ برجوان، ثم عرفت بعد ذلك بدار المظفر لسكن المظفر محمد جعفر ابن أمير الجيوش بها وما زال بها حتى مات ودفن بها ، وكانت مقر للرسل الوافدين على القاهرة . انظر :المقريزي:الخطط المقريزية،ج٢،ص٣٨٣ .

(٣) القلقشندي:صبح الأعشى،ج٤ ،ص٢٢، ج٥،ص٤٣١، ٤٣٢؛السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م،ج١١،ص١٨٠؛ حسان الحلاق،عباس الصباغ: المجمع الجامع ،ص٢١٤؛حسن الباشا: الفنون الإسلامية،ج٣،ص١١٥٣ .

(٤) ابن المبرد: إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة ، دار النوادر، سوريا،٢٠١١م،ص٣٤؛عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م،ج٢،ص٤٧ .

(٥) القلقشندي: صبح الأعشي،ج٣،ص٥٥٩؛ المقريزي:الخطط المقريزية،ج٢،ص٣٨٤ .

يقوم بخدمته، وله نظير في دار الضيافة، كما كان المهمندار يرافق هؤلاء الوافدين لدرجة الملازمة ، فيرتب لهم ما يحتاجون إليه، كما كان حريصاً على خصوصيتهم فلا يُمكِن أحدا من الاجتماع بهم، ويُذكر صاحب الباب بهم، ويبالغ في إنجاز ما وصلوا فيه، وهو الذي يسلم بهم أبدا عند الخليفة والوزير، وينفذ بهم، ويستأذن عليهم، ويدخل الرسول وصاحب الباب قابضًا على يده اليمنى، والنائب بيده اليسرى، فيحفظ ما يقولون، وما يقال لهم، ويجتهد في انفصالهم على أحسن الوجوه، وبخصوص الهيئة المعاونة للمهمندار فى أداء مهامه فقد حددها نص القلقشندى أيضاً حيث يكون بين يديه عدة من الفراشين لإعانته ، وفى حالة غيابه ينوب عنه نائب إلى أن يعود ، أما عن مخصصاته فقد خُصص له خمسون دينارا في كل شهر، وفي اليوم نصف قنطار خبز، فضلاً عن الهدايا التى ممكن أن يتحصل عليها من الوافدين وإن كان لا يجوز له تلقى هذه الهدايا إلا بإذن من السلطة المختصة [١].

شروط وصفات تولى المهمندارية " بين الصفات الواقعية وصناعة الصورة المثالية":

يمكن وصف مهام المهمندار أنها مهام حساسة فى الدولة ونظراً لحساسية هذا المنصب فقد تطلب وجود صفات محددة اختار سلاطين المماليك المهمندار وفق هذه الصفات وهذه الأسس ، وطبيعى أن هذا المنصب وما ارتبط به من خصوصية تطلبت شروطًا وصفات معينة وبالتالى تطلب تدريبًا خاصًا ، وربما يمكن أن نستشف

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشي،ج٣،ص٥٥٩ .

تنقل النصوص أيضاً أسماء بعض معاونى المهمندارية بصفة نائب فكان ناصر الدين محمد المهمندار نائب الأمير عبد الله الدوداري فى المهمندارية. انظر : ابن أيبك الدواداري: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت رويمر، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦٠م ،ص٢١٤، وكذلك أبو الخير الكركي البرلسي صاحب ديوان المهمندار يعقوب شاه والمعين له. انظر : السخاوي: الضوء اللامع،ج١١،ص١١٠.

من بعض المعلومات الخاصة بأحد المهمندارية وهو " محمد بن الجندي" [١] بأنه قد تولى مشيخة المهمندارية وتدريسها [٢] ، وبالتالى يمكن أن نفهم أن هناك تأهيلًا من نوع خاص وبرنامجًا تدريسيًا معيناً يُقدم للمقبلين على تولى مهام المهمندارية والأكثر من ذلك وجود مشيخة لتنظيم كل الآليات المرتبطة بهذه المهنة.

وعلى جانب آخر فقد كان إتقان لغة أو أكثر صفة جوهرية وشرطًا أساسيًا لتولى منصب المهمندار ، ولم تبخل النصوص التاريخية بنماذج من المهمندارية واللغات التى أتقنوها ، فكان قانباي اليوسفي [٣] المهمندار يتكلم بلغة الفرس

---

(١) محمد بن الجندي: هو محمد بن أبي بكر بن أيدغدي القاهري الحنفي المقرئ أبوه ويعرف بابن الجندي، ولد سنة ٧٦٥ه/١٣٦٣م بالقاهرة ونشأ بها ، وتطورت وضعيته حتى تولى خزانة الكتب بالمدرسة الأشرفية برسباي من واقفها. السخاوي: الضوء اللامع،ج٧،ص١٥٨ .

(٢) السخاوي: الضوء اللامع،ج٧،ص١٥٨، نقلت بعض النصوص العديد من الإشارات على هذا الطرح والذى يعكس شكلًا واضحًا من أشكال التنظيم المهنى والمعارف التأهيلية التى يتلقاها المهمندار والتى من الممكن أن تعكس أيضاً نوعًا من التراتيبية الوظيفية فى هذا الإطار، فقد تولى إبراهيم بن الكركي نظر المهمندارية . انظر : السخاوي: الضوء اللامع،ج١،ص٦٣ ، واستقر علي بن أحمد الصوفي في تدريس المهمندارية برغبة الشمس الجلالي خازن المحمودية : انظر : السخاوي: الضوء اللامع،ج٥،ص١٩٠ ، وولي عبد الرحمن بن الديري مشيخة المهمندارية بعد الشمس بن الجندي. انظر : السخاوي: الضوء اللامع،ج٤،ص١٣٤ ،وولي إبراهيم بن الشهيد المهمندارية سنة ٨٢٠ه/١٤١٧م فدام فيها مدة وكان نيراً حسن الشكل . انظر : السخاوي: الضوء اللامع،ج١،ص١٢٦ .

(٣) قانباي اليوسفي المهمندار: اسمه الحاج خليل، وقد تعددت الروايات حول أصله فذكر البعض أنه من مماليك قرا يوسف التركماني صاحب بغداد وفى رأى آخر أنه جاركسي الأصل ورأى ثالث أنه من شماخي ممن لم يسمهم رق، جاء مصر زمن في الأشرف برسباي وتولى الخاصكية ثم مقدم البريدية ، ولكن الأحوال انقلبت به بعد وفاة برسباى ، ووصل الأمر أن ضرب ونفى ، وعادت الأمور لنصابها فى أواخر حياته حيث تولى حسبة القاهرة حتى توفى سنة ٨٦٢ه/١٤٥٧م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق حسين نصار، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥م ،ج١٦،ص١٩٤؛ السخاوي: الضوء اللامع،ج٦،ص١٩٧.

أيضا[١] ، ومن المؤكد فإن هذه المعرفة باللغات كانت عاملاً من عوامل التصنيف المختلف والمتفرد للمهمندار فى الواقع الاجتماعى والسياسى للعصر المملوكى ، فصار هذا المهمندار خبيراً يُستعان به فى العديد من الأوقات التى تتطلب قراءة وتفسير أى نص أو رسالة مكتوبة باللغات الأجنبية ، وتشير إحدى النصوص في ذلك أنه وردت مطالعة من إسكندر بن قرا يوسف فلم يتمكن أحد من قراءتها فأرشد الكمالي بن البارزي إلى يعقوب شاه بن أسطا [٢] لعلمه بأنه خبير فى قراءة المطالعات الواردة من الروم والتتر والعجم والهند ، وقد أهلته معرفته بلغات عديدة ومعرفته بألسنتها وبالتركي والعربي فقرأها ، ويبدو أن هذه الواقعة كانت سببًا مباشرًا أهله بعد ذلك لعمله كمترجم متخصص فى كافة المطالعات الواردة عنهم ، وفى مرحلة لاحقة تطور به الأمر حتى أقره السلطان الأشرف قايتباي في المهمندارية الكبرى سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م وكان هذا الحراك الوظيفى بمثابة ترقية

---

[١] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،ج١٦،ص١٩٤؛السخاوي:الضوء اللامع،ج ،ص١٩٧؛ ١٧. وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م ،ج٢،ص٧١٨ ؛ ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٦ ،ص٤٤؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨م ،ج٢،ص٣٤٩ .

[٢] يعقوب شاه بن أسطا: هو يعقوب شاه بن أسطا علي الأرزنجاني ثم التبريزي ثم القاهري المهمندار، ولد سنة ٨١٠هـ١٤٠٧م بأرزنجان وتحول منها إلى تبريز ، انتقل بعد ذلك إلى الديار المصرية فنزل في طبقة القاعة ثم في طبقة المقدم سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م صار بعد ذلك مقدم المماليك وتواى المهمندارية . انظر : السخاوي: الضوء اللامع،ج١٠،ص٢٨٠ ، ٢٨١ ، هذا وقد وُصف يعقوب شاه بن أسطا المهمندار بأنه أظهر التأدب والتواضع والكلام المفارق للفعل بحيث صار في جل ما يبديه توقف، وكثر تعلله بأعضائه وتناقصت حركته وهو مستمر على المهمندارية والقراءة، وترقى في جبذ القوس والثقيل والرمي ومعرفة فنون الرمح علما وعملا والصراع وتراتيب المملكة وترتيب العساكر بحيث انفرد في ذلك وعمل درجا في ترتيب خروج الملوك وإطلابها وعساكرها إلى الأسفار من تجاريد وغيرها . انظر : السخاوي: الضوء اللامع،ج١٠،ص٢٨٠ ، ٢٨١ .

كبيرة له من المهمندارية الأولى ، بالإضافة إلى قيامه بمهام الترجمة التى كان يقوم بها قبل توليه هذا المنصب [١].

هذا وقد حددت الدولة المملوكية طبيعة المؤهلين لتولى وظيفة المهمندار التى لم تكن متاحة إلا فى مستوى معين من مستويات أصحاب السلطة ، فلم يكن يتولاها إلا صاحب سيف من الأمراء العشراوات[٢] –حسبما أشار بعض المعاصرين–[٣] التى قدمت العديد من الأمثلة على هذا الطرح[٤] .

---

[١] السخاوي: الضوء اللامع،ج١٠،ص٢٨٠ ، ٢٨١ .

[٢] أمير عشرة: من الرتب الهامة فى تصنيف الأمراء المماليك ، ويأتى تصنيفهم ضمن الطبقة الثالثة في رتبة الأمراء، وكان عدة كل منهم عشرة فرسان، ويتم الاعتماد على هذه الفئة عند تعيين صغار الولاة. انظر : القلقشندي:ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر، مطبعة الواعظ، القاهرة، ١٩٠٦م، ص٢٤٥؛ابن كنان: حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، ١٩٩١م ، ص١٠٨؛ أنطوان خليل: الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري (١٢٩٠– ١٤٢٢)، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٦٥؛ محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق،١٩٩٠م، ص٢٢.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشي،ج٣،ص٥٥٩؛ المقريزي:الخطط المقريزية،ج٢،ص٣٨٤ .

(٤) من الأمثلة التى تدلل على هذا الأمر ما أوردته المصادر فعلى سبيل المثال خلع على الأمير أربوز السيفي واستقر مهمندار بإمرة عشرة سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م. انظر : المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م،ج٣،ق١،ص٣٠٨، وكذلك أنعم السلطان الأشرف قايتباي على تمربای التمرازى المهمندار بإمرة عشرة سنة ٨٧٢ه/١٤٦٧م . انظر : ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة ،ج١٦،ص٣٦٤؛ ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م،ج٦،ص٢٩٢؛ابن إياس:بدائع الزهور ،ج٢،ص٤٦٢، ٤٦٣ ، كذلك تولي ابن سودون المظفري وظيفة المهمندارية بحلب وأعطي إمرة عشرة وكان أبوه في أول أمره كذلك. انظر : ابن حجي: تاريخه، تحقيق عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣م،ج١، ص٣٥١ ، كذلك كان الطنبغا العلاء المهمندار أمير عشرة . انظر : السخاوي: الضوء اللامع،ج٢،ص٣١٩ .

بالإضافة للصفات السابقة وهى صفات محددة وواضحة بطبيعة الحال فقد عكست النصوص التاريخية صفات أخرى أكثر نمطية وعمومية تم إسباغها على كافة من تولوا الوظائف العامة فى العصر المملوكى ، من هذه الصفات العقل والشجاعة فالأمير سيف الدين بلبان بن عبد الله المهمندار من أكابر أمراء دمشق وأعقلهم[١]،كما وُصف الأمير علاء الدين آقطوان المهمندار بأنه عاقل شجاع[٢]،وكان الأمير سيف الدين تمر المهمندار بدمشق عاقلا ساكنا قليل الكلام والشر ولهذا كان ثابت القدم مع تقلب الملوك والوزراء[٣] .

إضافة إلى الصفات العامة والنمطية السابقة أُضيف صفات أخرى فضفاضة تتمتع بذات السمة منها الديانة والخير والسيرة الحسنة ، وقد ذكرت النصوص أيضاً ملامح تلك الصفات من خلال أسماء بعض من تولوا المهمندارية فالأمير جمال الدين بن المهمندار [٤] كان أميراً فاضلاً، ذا هيئة حسنة وسيرة محمودة[٥]، وكان قانباي

---

[١] ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الطبعة الثانية،١٩٧٢،ج٢،ص٣٢؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج٩،ص٢٨٢ .

[٢] اليونيني: ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي،القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢، ج٣، ص٢٩٩ ، ٣٠٠؛ البرزالي: المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م،ج١،ص٤٣٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م ،ج٩،ص١٨٧؛ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١م ،ج٢،ص٥٠٦ .

[٣] الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م ،ج٢،ص١٠٩ ، ١١٠؛ ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة،ج٢،ص٦٤ .

[٤] الأمير جمال الدين بن المهمندار: هو إبراهيم بن نهار، الأمير جمال الدين اللخمي الصالحي المصري، وكان ابن قاضي دارا ناظر البيوت، ووصفته النصوص بأوصاف سلبية منها أنه مذموم الطريقة والسمعة .انظر: ابن تغري بردي:المنهل الصافي ،ج١،ص١٨١ ، ١٨٢ .

[٥] ابن تغري بردي:المنهل الصافي،ج١،ص١٨١ ، ١٨٢ .

اليوسفي المهمندار خيراً، ديناً، عارفاً، عاقلاً، حشماً[١]، والأمير علاء الدين أقطوان بن عبد الله المهمندار وصفته بعض النصوص بأنه كان شاباً حسناً، عنده شجاعة ومعرفة وديانة، ولما حضرته الوفاة أوصى بثلث ماله تصرف في وجوه البر حيثما يراه الوصي[٢] .

كما كان الأمير علاء الدين المهمندار أميرًا دينًا وشجاعًا، وعارفًا [٣]، فضلاً عما وُصف به الأمير فارس المهمندار بأنه لا بأس به[٤] ،وكان أقطوه الموساوي[٥] المهمندار تركي الجنس، مسلم الأصل، وكان عفيفاً، متديناً، له مشاركة في كثير من المسائل الفقهية بتؤدة وأدب[٦] .

وفى حقيقة الأمر فإن هذه الصفات الفضفاضة الافتراضية لا يمكن أن تكون صفات واضحة لتقلد وظيفة عامة ، فالباحث يمكن أن يتفهم شروطًا محددة مثل إتقان

---

[١] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج١٦،ص١٩٤؛السخاوي:الضوء اللامع،ج ،ص١٩٧؛وجيز الكلام،ج٢،ص٧١٨ ؛ ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٦ ،ص٤٤؛ ابن إياس:بدائع الزهور،ج٢،ص٣٤٩ .

[٢] اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص٢٩٩ ، ٣٠٠ ؛ الصفدي:الوافي بالوفيات،ج٩،ص١٨٧ .

[٣] الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م،ج٥٠،ص٢٦٣ .

[٤] ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م،ق٢،ص٣٦٦ .

[٥] الأمير آقطوه الموساوي: هو آقطوه بن عبد الله الموساوي الظاهري، أنعم عليه الملك الظاهر ططر بإمرة عشرة، واستمر آقطوه على ذلك فترة حتى حكم عليه بالنفى إلى الشام، ثم شفع فيه وطلب إلى القاهرة؛ فأقام بها مدة، وأنعم عليه بإمرة عشرة بعد موت الأمير أبي يزيد الأشرفي فاستمر على ذلك مدة وتم تكليفه بمهمة كشف الجسور ويبدو أن سيرته لم تكن محمودة ، وشكاه بعض خواص الملك الظاهر له فرسم بنفيه أيضا، ثم شفع فيه مرة أخرى وانتهى به الحال بأن يقيم فى القاهرة بطالاً. انظر : ابن تغري بردي:المنهل الصافي،ج٣،ص٦ ؛النجوم الزاهرة، ج١٥ ،ص٥٢٥ ، ٥٢٦،٧؛ السخاوي: الضوء اللامع،ج٢،ص٣١٨ ، ٣١٩.

[٦] ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج١٥،ص٥٢٥ ، ٥٢٦؛ ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٥،ص٢٤٩ ، ٢٥٠.

بعض اللغات أو الرتبة الوظيفية أو المكانة الاجتماعية أو التصنيف الطبقى ، أما مثل هذه الصفات فلا يمكن التعامل معها إلا فى سياق حديث النص التاريخى على واقع السلطة وكبار رجال الدولة ، فالموظف العام ذو المكانة الكبيرة المُقلد من السلطان هو بالطبع متدين خير شجاع ذو سيرة حسنة فاضل عارف يتمتع بالدين وبمعرفة أصوله وقواعده ، هو اختيار السلطان وهو القريب من دوائر صناعة القرار وبالتالى فلا يمكن أن يكون أقل من هذه الصفات ، بل إن مصادر أخرى أضافت أوصافاً جسدية مادية أردفتها مع الصفات المعنوية ليكتمل كمال الصورة فعلى سبيل المثال وُصف الشهاب أحمد بن الخطائي المهمندار بأنه رئيس ضخم، له ذكر وشهرة ووجاهة،مع مروءة ظاهرة، وكرم نفس وسخاء[١] ، وبالتالى فإننا لا يمكن تقبل مثل هذه النصوص والصفات إلا فى سياق علاقة النص التاريخى بدوائر السلطة ، وحتى إذا تجاوزنا وصف هذه العلاقة بالنفاق إلا أننا لا يمكن أن نتجاوز فكرة صناعة الصورة [٢] لصاحب المنصب العام فى المتخيل الذهنى لمؤرخى العصر المملوكى .

ومن الطريف أنه حتى عند ذكر آفة أو مأخذ أو اتهام ذميم يتعلق بأحد هؤلاء المهمندارية فإن النصوص التاريخية من تلقاء ذاتها تمارس عملية تطهير ذاتى مقرون بذات الوصف المذموم ، فمن يُتهم بصفة مشينة يبرئه ذات النص أو يقرنه بصفه أخرى محمودة تُعادل أو تُكافىء الصفة المذمومة لتنفيها أو تضببها، أو من

---

[١] ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٦،ص٢١٦ .

[٢] يمكننا أيضاً أن نبرهن على الطرح السابق المتعلق ببناء الصورة الذهنية للمهمندار فى سياق النصوص التاريخية وكتب النظم والرسوم التى ذُكر بعضها صراحة في وثيقة توقيع أحد المهمندارية "فليباشر هذه الوظيفة مباشرة تحمده فيها الوراد، وتشكره بالقصد ألسنة القصاد، وتذكره البريدية بالخير في كل واد، وليهيء لهم من القرى ما يهيئه لمضيف، وليحصل لهم التالد منه والطريف، وليتلقهم بوجه الإقبال، وليبدأهم بالخير ليحسن له المآل، وليجعل التقوى إمامه في كل أمر ذي بال، وليتصف بالإنصاف فهو أحمد الأوصاف في جميع الأحوال"، وأن "يكون راسخا، وهامة همة لم يزل شرفها على الثريا باذخا، ولأنه الفارس الذي تفرست في مخايله الشجاعة، وتبضع الشهامة في الحروب فكانت أربح بضاعة" . انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١٢ ، ص ٤٣٣ .

ناحية أخرى كان هناك بعض المهمندارية الذين اتهموا ببعض الصفات المشينة ويمكن أن نستطلع ذلك من خلال بعض النماذج ففى سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م اتهم الأمير عبد الله بن أيبك الدوداري[١] مهمندار السلطان الناصر محمد بن قلاوون بدمشق بتناوله حملا كبيرا من القلاع، ولكن هذه التهمة لم تقوَ على الصمود فنجد أن السلطان الناصر محمد يتحقق بنفسه من الأمير عبد الله وبعد ظهور البراءة لا يبخل النص فى حشد الصفات المثالية للمهمندار الذى زالت عنه التهمة ووصفه بالأمانة الزايدة والنهضة والكفاية والشفقة على ماله ولابد أن يُكتب ذلك ويُعلن بشكل غاية فى الوضوح[٢].

هذه الإشكالية يمكن أن نرصدها أيضاً فيما حدث مع التاج الوالي[٣] المهمندار الذى وصفه السخاوى بأنه " حسن الفكاهة ذرب اللسان لا يبالي بقول وينقل عنه كلمات كفرية مختلطة بمجون لا ينطق بها من في قلبه ذرة من إيمان مع

---

[١] عبد الله بن أيبك الدواري: هو جمال الدين عبد الله بن لأحد كبار الأمراء المماليك وهو الأمير عز الدين أيبك صاحب صرخد، خدم السلطان الظاهر بيبرس، وكان قريباً من السلطان الأشرف خليل بن قلاوون والسلطان الناصر محمد وظل يترقى في المناصب حتى مات سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م. ابن أيبك الدواري: الدر المطلوب في أخبار بني أيوب وهو الجزء السابع من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٧٢م ، ص و، ز مقدمة المحقق؛ الدر الفاخر، ص٢٦٥، ٢٦٦؛ أحمد عبد الرازق أحمد: دراسات فى المصادر المملوكية المبكرة، مكتبة سعيد رأفت، الزيتون، ١٩٧٤م، ص١٩-٢١.

[٢] ابن أيبك الدواري: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ،ص٢٦٦ ، ٢٦٧ .

رصد الباحث حالة استثنائية تتعلق بالأمير سيف الدين أبو بكر بن السلاحدار المهمندار بدمشق الذى وُصف من قبل نص واحد بأنه لم يكن محمود السيرة . انظر : ابن حجي:تاريخه،ج١،ص١٤٥.

(٣) التاج الوالي: تاج بن سيفا بن عبد الله الفارابي اتصل بالمؤيد شيخ قبل سلطنته فلما استقر في الملك ولاه الشرطة فباشرها وفوض إليه في أثناء ذلك الحسبة ، ويبدو أنه لم يكن كفئًا لهذا المنصب فصرف عنها ، وتم تعيينه بعد ذلك فى وظيفة أستادار الصحبة ثم أعيد إليها في مرض موت المؤيد، وانقلبت أحواله في أوائل دولة الأشرف برسباي. انظر : السخاوي: الضوء اللامع،ج٣،ص٢٤ .

كثرة الصدقة والبر المستمر" [١] وبناء على ذلك فإن النص يجمع بين حسن الفكاهة وهى صفة محمودة مع ما اتهم به من كلماته الكفرية التى تتنافى مع وجود إيمان حقيقى فى حين أنه رجل يبذل الصدقات ويقوم بأعمال البر المستمر فى حديث يعضد هذا الطرح الذى يعكس مسؤولية النص التاريخى فى صناعة الصورة المثالية لدوائر السلطة فى العصر المملوكى .

أما عن انقلاب النص التاريخى فى رسم الصورة الذهنية للمهمندار فقد ارتبط بانقلاب وضع المهمندار ذاته ، نجد هذا عند التأريخ لنهايات بعض المهمندارية [٢] ،

---

[١] الضوء اللامع،ج٣،ص٢٤ .

[٢] نقلت بعض المصادر أن عزل بعض المهمندارية بسبب مواقف سياسية فعلى سبيل المثال عندما حضر الأمير سيف الدين بشتاك إلى دمشق في واقعة الأمير تنكز عزل الأمير سيف الدين تمر المهمندار بالشام من المهمندارية وجعله واليا على مدينة دمشق، فأقام بها جمعة، وعاد إلى المهمندارية ، علاوة على ذلك أخرج الأمير بيدمر نائب الشام الأمير سيف الدين تمر المهمندار بالشام إلى غزة صحبة من خرج من عسكر دمشق في واقعة بيدمر وخروجه، فتوجه وهرب الأمير منجك، وحضر السلطان المنصور محمد بن حاجي ، فأنكر على الأمير سيف الدين تمر المهمندار موافقته لبيدمر على ذلك وطواعيته له، وأمسك بعض الأمراء، وقطع خبز المهمندار، وخرجت وظيفته للأمير سيف الدين قماري الحموي ، كما كان يقبض على المهمندار خوفا من خروجه على الطاعة فعندما خرج الأمير يلبغا الناصري على السلطان الظاهر برقوق وثارت الفتنة فقبض على أولاد المهمندار حاجب الحجاب وعدة ممن يخافهم وركب إلى القلعة وتسلمها . انظر : المقريزي: السلوك ج٣،ق٢،ص٥٩٢؛ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج١١،ص٢٥٨؛المنهل الصافي،ج٣،ص٢٩٥ ، علاوة على أن الأمير سيف الدين أبو بكر المهمندار ممن انتمى إلى السلطان الظاهر برقوق ضد الأتابك يلبغا وكان خاملا وسجن بالقلعة مدة . انظر : ابن حجي:تاريخه،ج١،ص١٤٥ ، كما كان يتم عزل بعض المهمندارية بسبب تغير السلاطين كالأمير سيف الدين قشتمر الذي ولي المهمندارية ولم يزل بها إلى أن رسم بإخراجه في عهد السلطان الصالح صالح (٧٥٢-٧٥٥هـ/١٣٥١-١٣٥٤م) وأُخرج إلى طرابلس ليكون بها مقيما بطالا ومعه نقيبان فوصل إلى دمشق سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م وأقام بطرابلس . انظر : الصفدي:الوافي بالوفيات،ج٢٤،ص١٨٤ ، فضلاً عن الوشاية التى كانت حاضرة أيضًا فى نهايات بعض المهمندارية فعلى سبيل المثال فتنكر الأمير جقمق ليحيى بن بركة بن لاقى المهمندار بسبب كلام نقله للسلطان المؤيد شيخ ، فأظهر الأمير جقمق أن الأمر

فالأمير سيف الدين أبو بكر بن السلاحدار المهمندار كان خاملاً واستمر ملازماً بيته إلى أن مات ودفن بمقابر الصوفية سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م[١]، والأمير علي الجركتمري القازاني المهمندار قُتل سنة ٧٩٢هـ/١٣٨٩م خارج القاهرة [٢] ، ويحيى بن بركة بن

=بخلاف ذلك، فالتمس جقمق من السلطان أن يمكنه منه فأذن له، فرسم بنفيه من القاهرة فأخرج على حمار، فمات في أثناء الطريق وولي الأمير خرز مهمندار عوضه . انظر : ابن حجر العسقلاني:إنباء الغمر،ج٣،ص٢١١ ؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج١٤،ص١٥٧؛ السخاوي: الضوء اللامع،ج٧،ص١٥٨ .

وفى هذا الصدد فقد تعرض بعض المهمندارية لعقوبات أخرى تفاوتت فى شدتها وإن كانت بعض النصوص لم تشر لأسباب ذلك في بعض الأحيان، فمنهم من تعرض لعقوبة النفي فقبض سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م على الأمير بهادر الأعسر القجاوي المهمندار ونفي الى غزة . انظر : المقريزي: السلوك،ج٣،ق٢،ص٦٣٧ ، ومن المهمندارية من تعرض للمصادرات فأخرج السلطان المنصور محمد بن حاجي إقطاع تمر المهمندار . انظر : الصفدي:الوافي بالوفيات،ج٢٤،ص٢٠٦ ، ومن المهمندارية من تعرض لعقوبة الضرب والقتل فضرب أحد نواب دمشق مهمندارا، ضربا مبرحا، الذي كان حبسه عقيب خلعة أتت على يديه من مصر، وذلك بسبب أنه اتهم بشيء من الأشياء المضرة نقلت إليه عنه، ثم أمر بقلبه فصلب وقت الغروب، ولكن قيل عنه إنه جريء، قليل الحساب للعواقب . انظر : ابن طولون:مفاكهة الخلان،ق١،ص١٨٥ ، كذلك امتحن قانباي اليوسفي المهمندار بعد موت السلطان الأشرف برسباى، وحبس إلى أن عاد إلى رتبته في الدولة الأشرفية إينال، وجعله مهمندارا . انظر : ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج١٦،ص١٩٤ ، كذلك تعرض محمد بن قانباي اليوسفي المهمندار لعقوبة الضرب وذلك بسبب أنه رفض ختام بعض المراسم السلطانية وعرف ما في المرسوم، فأمر السلطان الأشرف إينال فضرب بين يديه، ثم أمر بنفيه لقوص، فشفع فيه بأن يقيم بداره بطالا فأجاب وقرر في وظيفته تمرباي التمرازي . انظر : ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٦،ص٢٢٣؛ ابن إياس:بدائع الزهور،ج٢،ص٤٣٢ ، ومنهم من انحط قدره وعلاقته بالسلطان كمحمد بن قانباي اليوسفي المهمندار الذي انحط أمره عند السلطان الظاهر خشقدم ثم اختص بالدوادار الكبير يشبك بن مهدي بحيث جالسه وسامره وتوسل به كثيرون في ضروراتهم . انظر : السخاوي: الضوء اللامع،ج٨،ص٢٩١ .

[١] ابن حجي:تاريخه،ج١،ص١٤٥.

[٢] المقريزي: السلوك،ج٣،ق٢،ص٧٤٨ .

لاقى المهمندار انزلق من أعلى مراتب السلطة والأوصاف الحميدة بعد قرار السلطان المؤيد شيخ بإقصائه ونفيه من القاهرة ، **هنا تُعيد النصوص صياغة الصورة مرة أخرى لتقول** " فأُخرج على حمار، ومات في أثناء الطريق غريباً طريداً، ودفن بغزة[١].

مهام وصلاحيات المهمندار :

تعددت مهام المهمندار وكانت المهمة الأولى والأساسية للمهمندار أنه يُكلف باستقبال كبار الزوار عند حضورهم وترتيب إقامتهم وتسجيل وصولهم ومكانهم وما يقدمونه من هدايا[٢] ومن مهام المهمندار أيضاً : ترتيب رسل الملوك الذين بالقاهرة وتنسيق آلية دخولهم ولقائهم بالسلطان [٣] ، وكان من الممكن أن يستقبل المهمندار أكثر من سفارة فى نفس الوقت ويتم ذلك حسب ترتيب وتنظيم المهمندار لهم [٤] .

وقد جرت العادة أنه إذا جاء رسول ملك من الملوك إلى أطراف مملكته كاتب نائب تلك الجهة السلطان ليعرفه بوفوده، ويستأذنه في إشخاصه إليه، وهنا تستعد أدوار المراسيم السلطانية للقيام بمهامها التشريفية ، وتتفاوت بروتوكولات الاستقبال حسب مكانة الجهة المرسلة، فإن كان مرسله ذا مكانة عظيمة من الملوك كأحد القانات من ملوك الشرق، يكون المسؤول عن الاستقبال بعض أكابر الأمراء للقائه، ويتم استقباله بقصور السلطان وهو أعلى منازل الرسل ، أما إذا كانت مكانته دون ذلك تلقاه المهمندار واستأذن عليه الدوادار وأنزله دار الضيافة أو ببعض

---

[١] ابن حجر العسقلاني:إنباء الغمر،ج٣،ص٢١١ ؛ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج١٤،ص١٥٧؛ السخاوي: الضوء اللامع،ج٧،ص١٥٨ .

[٢]عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك،ج٢،ص٤٧ .

[٣] المقريزي: السلوك ج١،ق٣،ص٧٠١ .

[٤] نجلاء شيحة : الجاليات الأوربية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك ، ص ٤٤ .

الأماكن على قدر رتبته[١]، ومن مهام المهمندار علاوة على استقبال الوفود مرافقة الزوار لمشاهدة المزارات الهامة والمشهورة [٢] .

فى سياق آخر فعندما كان السلطان يترقب أو ينتظر مجيء أحد الضيوف أو الرسل أو الوافدين هنا تبدأ مهمة المهمندار فى استقبال الوافد وترتيب ما يتعلق بذلك من بروتوكول والتأكد من أن كل شيء تم ترتيبه لاستقبال الضيف فضلاً عن ترتيب أمور إقامته وراحته أثناء تلك الزيارة ، على سبيل المثال فتشير إحدى الحوادث أنه وفد على المعز أيبك فرج بن حية فأنزله المهمندار الحمداني بدار الضيافة، واستمرت إقامته عدة أيام ، وقد تم ضخ كافة الإمكانات للإنفاق على هذه الإقامة[٣]، علاوة على وفود جماعة من آل ربيعة وغيرهم على السلطان الظاهر بيبرس ، وهنا تجلى دور المهمندار الحمداني الذى كان مسؤولاً عن كافة التفاصيل والتسهيلات المتعلقة بأمور ضيافتهم وإقامتهم وتمويل كافة الإمكانات من خلال صلاحياته لتسهيل هذا الأمر[٤].

كما شارك المهمندار في مراسم استقبال الخلفاء العباسيين والإشراف على انتقالاتهم ، فعندما خلع السلطان الناصر محمد سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٨م على أبى الربيع سليمان

---

[١] القلقشندي: صبح الأعشى،ج٤،ص٦٠ ؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية،ج٣،ص١١٥٤ .

[٢] عندما دخل سلامش بن باجوا إلى دمشق وكان لدخوله همة كبيرة، وتلقوه الأمراء بالعساكر ودخل إلى دمشق فى موكب عظيم، ونزلوه فى خانقاه النجيبى على الميدان ورتبوا له راتباً كبيرا ، ونزل ليلة النصف من شعبان جامع بنى أمية، وكذلك صلى به يوم الجمعة، ولما فرغ من الصلاة أخذه شمس الدين محمد المهمندار مع مشارف الجامع وصلوا به فى جميع المزارات المبارك انظر : ابن أيبك الدوداري: الدر الفاخر،ص١٠ ، ١١ ، ومن الجدير بالذكر فقد توفى الأمير شمس الدين محمد المهمندار بدمشق ودفن بسفح قاسيون . انظر : البرزالي: المقتفى،ج٣،ص٤٩٣ .

[٣] جاء مقدار ما وصل إليه من عين وقماش وإقامة له ولمن معه ستة وثلاثين ألف دينار . انظر : العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ،ج٤،ص٣٤٠.

[٤] ذكر المهمندار الحمداني أنه خرج على يده من بيوت الأموال والخزائن والغلال للعرب خاصة لله تعالى مما لا تحصيه إلا بالجهد. انظر : العمري: مسالك الأبصار،ج٤،ص٣٤٠ .

خلعة الخلافة، ثم رسم له السلطان بنزوله إلى الكبش وأقاموا به وحضر من عند السلطان المهمندار ومعه جماعة وصحبتهم جمال كثيرة، فنقلوا الخليفة وأولاد أخيه ونساءهم وجميع من يلوذ بهم إلى قلعة الجبل، وأنزلوهم بالقلعة فى دارين :الواحدة تسمى بالصالحية، والأخرى بالظاهرية، وأجروا عليهم الرواتب المقررة لهم [١].

ويبدو أن الناصر محمد بن قلاوون كان متميزاً وحريصاً على إتمام الأمور البروتوكولية على أكمل وجه فكان يكلف المهمندار بمعاينة مواكب الشخصيات الهامة والتأكد من توفير كافة الأغراض المطلوبة [٢] ، كما أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأمير أحمد بن الجاكي المهمندار لاستقبال منسا موسى ملك التكرور[٣] الذى جاء للحج [٤] سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٣م، وركب به إلى القلعة بهدايا

---

[١] ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج٨،ص١٤٩ .

[٢] فى عام ٧١٣هـ/١٣١٣م عاين شهاب الدين المهمندار بتكليف من السلطان الناصر محمد سنة الموكب لرسول الملك طقطاى حيث أن السلطان الناصر أمر له بألف جوشن وألف خوذة وألف بركستوان بقيمة كبيرة، وكان الرسول قد أحضر معه جلد دب وسقنقود وسيرم. وأنعم السلطان عليه بطريق الهدية إلى الملك طقطاى عدة صناديق قماش تعابى سكندرى وعمل الدار، وعدة كلوتات زركش وحوايص ذهب . انظر : ابن أيبك الدوداري: الدر الفاخر، ص٢٨١ .

[٣] منسا موسى ملك التكرور: أول من حج من ملوك التكرور ، وعندما حضر إلى مصر ليحج أنف من تقبيل الأرض للملك الناصر فأعفاه السلطان من ذلك، وقربه وأكرمه، وأصدر السلطان تعليمات للوزير أن يجهزه بكل ما يحتاج إليه،وخرج مع الركب بعد ما أوصى به السلطان الأمير سيف الدين أيتمش،وأنعم السلطان عليه بخيول وجمال.انظر: العمري:مسالك الأبصار،ج٤،ص١٢٢، ١٢٣؛القلقشندي: صبح الأعشى،ج٥،ص٢٨٣؛الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبد القادر عطا ،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م،ج١،ص١٣٣ .

[٤] دأبت القوى الإسلامية وحكام العالم الإسلامى على الاستئذان من السلطة المملوكية قبيل التوجه للحج بصفتهم رعاة للحرمين الشريفين وكشكل من أشكال الاعتراف بالسيادة المملوكية على بلاد الحرمين الشريفين . انظر : أحمد عبد السلام ناصف : أغراض السفارات إلى مصر فى العصر المملوكى : القوى الإسلامية والمغول أنموذجاً ، بحث منشور بمجلة البحوث والدراسات الأندونسية ، ٢٠١٧، ص ٥٢٧ ، كما كانت السلطة المملوكية حريصة ألا ينازعها أحد فى مهمة كسوة الكعبة ، ويظهر أيضاً دور المهمندار فى المثال التالى : ففي سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م

جليلة وذهب كثير[١] وخرج المهمندار لاستقباله ، وحسبما وصفت النصوص فقد أحسن المهمندار القيام بالمهمة على أكمل وجه "فأكرمه إكراما عظيما، وعامله بأجمل الآداب"، وحسبما ذُكر أن الضيف لم يكن يتحدث مع المهمندار إلا بترجمان [٢].

واستمراراً فى الحديث عن الوافدين للبلاط المملوكى بغرض الاستئذان للحج ودور المهمندار معهم فقد جاءت السيدة الحرة بنت السلطان أبي الحسن علي المريني صاحب فاس سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م تريد الحج ومعها جمع كبير وهدية جليلة إلى الغاية نزل لحملها من الإسطبل السلطاني ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال[٣] وهنا يبرز دور المهمندار الذى خرج إلى لقائهم ، وتشى لنا النصوص عن

=أرسل السلطان الأشرف برسباي الأمير أقطوة الموساوي المهمندار ومعه الشريف تاج الدين علي – رسول شاه رخ بن تيمورلنك – وأجيب شاه رخ عن طلبه كسوة الكعبة بأن العادة قد جرت ألا يكسوها إلا ملوك مصر والعادة قد اعتبرت في الشرع في مواضع وجهزت إليه هدية فغاب مدة تزيد على سنة، وقدم إلى الديار المصرية بعد أن قاسى خطوبا في طريقه .انظر : المقريزي: السلوك٤،ق٣،ص٩٣٢؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج١٥، ص٥٢٥، ٥٢٦؛ المنهل الصافي،ج٣،ص٦ ،٧؛ السخاوي: الضوء اللامع،ج٢،ص٣١٨ ، ٣١٩؛ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٤،ص٣٦٥ ؛ابن إياس:بدائع الزهور،ج٢،ص١٦١.

[١] الفاسي:العقد الثمين،ج١،ص١٣٣ .

[٢] العمري: مسالك الأبصار،ج٤،ص١٢٢ .

[٣] وكان من جملة هذه الهدية أربعمائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها بسروج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سروجها وركبها من الذهب وكذلك لجمها وكان جملتها أيضا أبقار عدتها اثنان وأربعون رأسا ومنها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه من ذهب مرصع وحياصة ذهب مرصع وفيها ستمائة كساء وغير دلك من القماش الغالي، وفرق السلطان الهدية على الأمراء بأسرهم على قدر مراتبهم حتى نفدت كلها سوى الجوهر واللؤلؤ فإنه اختص به فقدرت قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار وطلب السلطان من النشو والأمير آقبغا بتجهيزها اللائق بها فقاما بذلك وندب السلطان معها جمال الدين متولي الجيزة وأمره أن يرحل بها في ركب لها بمفردها أمام المحمل ويمتثل كل ما تأمر به وكتب لأميري مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة. المقريزي: السلوك، ج٢،ق٢،ص٤٤٧ ، ٤٤٨ .

الدور التنظيمى الكبير الذى قام به المهمندار من أجل تسهيل ترتيب ضيافة السيدة الحرة ومرافقيها الذين وُصفوا بأنهم " جمع كبير جداً" وأنزلهم بالقرافة قرب مسجد الفتح ، ثم نُقلت الحرة إلى الميدان بمن معها ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة ، كما رتب إجراءات إعاشتهم من أطعمة وأشربة وخلافه فى كل يوم من أيام إقامتهم [١].

نماذج لأبرز المهام والتكليفات الاستثنائية التى قام بها المهمندار فى العصر المملوكى :

لم تقتصر المصادر فى ذكر مهام المهمندار المعروفة والمحددة فى الجهاز الإدارى المملوكى بل نجد أن المهمندار قد شارك فى تكليفات يمكن وصفها بأنها مهام ذات طبيعة خاصة وتكليفات عالية المستوى وفى أوقات أخرى مهام استثنائية ، ومن هذه المهام والتى يمكن أن نلمحها من خلال النصوص أن له صلاحيات فى نوعية التعامل مع الوافدين ، أو توصيل رسائل غير معلنة تتعلق بسيادة الدولة من خلال طبيعة الاستقبال ومدى الحفاوة ، ففى بعض الأحيان كان مطلوباً منه أن يُرهب بعض الرسل القادمين وأن يظهر لهم مدى قوة الدولة أو حتى قد يتعامل مع بعض الوافدين بطريقة استقبال معينة يُظهر من خلالها- ليس قوة الدولة فحسب- بل قوة الإسلام نفسه ، وقد عبرت بعض النصوص عن ذلك بقولها" فمن حقه أن يعتمد مصلحة الإسلام، ويُرهب القصاد ويوهمهم قوة المسلمين، وشدة بأسهم وعظيم سطوتهم، واتفاق كلمتهم، وقيامهم في حوزة الدين " ، كما يمكن للمهمندار من خلال رؤيته وتقديره للموقف بالإضافة لصلاحياته أن يرفع ما يراه مناسباً من تقارير عن الوافدين للسلطان ، كما كان يمايز فى المعاملة بين وافد يتم تكريمه وتعظيمه ووافد يحظى بمعاملة أقل تقديراً حسب المصلحة أو حسب مقتضيات الظرف السياسى أو حتى حسب التعليمات العليا من السلطان ذاته ، كما كان من الضرورى مراعاة أدق

---

[١] المقريزي: السلوك، ج٢،ق٢،ص٤٤٨ .

التفاصيل فى ملابسهم وصورتهم وإظهار العتاد والقوة العسكرية كعنوان على هيبة النظام السياسى [١] .

من تلك المهام الاستثنائية والهامة أيضاً التى أوكلت للمهمندار أيضاً بعض التجهيزات على هامش أى تحرك عسكرى وبعض ترتيبات الاستعدادات للحرب [٢] وجمع الآلات والتجهيزات والاطمئنان على توفر المواد اللوجستية المطلوبة للتحرك [٣].

---

[١] السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٤٨م ،ص٣٢؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية،ج٣،ص١١٥٤ .

[٢] وتفصيل ذلك أن العساكر قدموا دمشق تلقاهم الأمير تنكز ومضوا إلى حلب، وأقاموا بها يومين فقدم الأمير قطلوبغا الفخري بعساكر الشام وقد وصل إلى جعبر ثم ساروا جميعا يوم عيد الفطر ومعهم الأمير علاء الدين ألطبغا نائب حلب وهو مقدم على العسكر جميعا حتى نزلوا على الإسكندرونة أول بلاد سيس وقد تقدمهم الأمير مغلطاي الغزي إليها بشهرين حتى جهز المجانيق والزحافات والجسور الحديد والمراكب وغير ذلك لعبور نهر جهان. فقدم عليهم البريد من دمشق بأن تكفور وعد بتسليم القلاع للسلطان فلترد المجانيق وجميع ألات الحصار إلى بغراس. وليقم العسكر على مدينة أياس حتى يرد مرسوم السلطان بما يعتمد في أمرهم وكانت التراكمين قد أغاروا على بلاد سيس ومعهم عسكر ابن فرمان فتركوها أوحش من بطن حمار فبعث تكفور رسله في البحر إلى دمياط فلم يأذن السلطان لهم في القدوم عليه من أجل أنهم لم يعلموا نائب الشام بحضورهم فعادوا إلى تكفور ، ومن الجدير بالذكر وفيما يخص دور المهمندار هنا فعندما بعث التراكمين بهدية إلى الأمير تنكز نائب الشام وسأله منع العسكر من بلادهم وأنه يسلم القلاع التي من وراء نهر جهان جميعا للسلطان ، فكاتب الأمير تنكز السلطان الناصر محمد بن قلاوون بذلك وبعث أوحد المهمندار إلى الأمير ألطنبغا العلائي نائب حلب وهو المقدم على العسكر جميعا بمنع الغارة ورد الآلات إلى بغراس. انظر : المقريزي: السلوك،ج٢،ق٢،ص٤٢٨، ٤٢٩ .

[٣] وتفصيل ذلك عندما بعث السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م بالأمير سيف الدين طرغاي الجاشنكير ومعه المهمندار بجميع الآلات الملوكية من الخيام والدهليز والبيوتات كلها إلى غزة للاستعداد لمواجهة بوسعيد بن خربندا . انظر : المقريزي: السلوك،ج٢،ق١،ص٣٩٣، ٣٩٤ .

كما شارك المهمندار فى مهام وتكليفات استثنائية أخرى منها مهمة المشاركة في القبض على بعض العناصر المعارضة والخارجين عن السلطة [١] ، ومن التكليفات الاستثنائية أيضاً التى أوكلت للمهمندار مهمة التحرى والتقصى عن بعض الأخبار والشائعات والتأكد من صحتها وبناءً عليه تكون معيناً للسطان فى تحديد موقفه أو اتخاذ بعض القرارات [٢] .

---

[١] بخصوص هذا يذكر ابن تغرى بردى سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م أن السلطان الأشرف قايتباي لما علم أن الأمير بردبك جاوز مدينة غزة، فندب السلطان الأمير تمربای المهمندار، والأمير جكم الظاهرى أن يخرجا إليه ويأخذاه، ويتوجها به إلى القدس الشريف بطالاً . انظر : ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج١٦،ص٣٦٥، وفي ذات الصدد أتى مهمندار النائب بدمشق إلى بيت القاضي الشافعي سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م ومعه عدة نقباء من جماعته، واجتمع بالشافعي، ثم خرج ليركب، وإذا بالشهاب بن بري قد أتى من شرقي بيت الشافعي داخل البوابة، فقبض جماعة المهمندار عليه وقد وُصف هذا الاعتقال بأنه قبض منيع شنيع ، ونزل المهمندار وساعد على قبضه، وذهبوا إلى باب المدرسة البادرائية، وأوصلوه إلى دوادار النائب، وتحفظوا عليه، ووضع في زنجير وسيخ وضيق عليه، وأظهروا أن ذلك بمرسوم، وظن الناس أن النائب يريد مصادرته في ماله انظر : ابن طولون: مفاكهة الخلان، ق١، ص١٧٥ .

[٢] يمكن أن نستدل ببعض النصوص للبرهنة على ذلك الأمر فعلى سبيل المثال عين السلطان الأشرف إينال الأمير قانباي اليوسفي المهمندار سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م بالتوجه رسولاً عنه بالجواب لابن عثمان صحبة قاصد، وهيأ له هدية سنية، وبينما هم في أثناء ذلك، وإذا بخبر ورد من جهة الإسكندرية بموت ابن عثمان، وكان كذبا ظهر بعد ذلك. فتأخر قانباي حتى يتحرى عن الأمر . انظر : ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج١٦،ص٩٧؛ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٥،ص٤٥٨؛ ابن إياس:بدائع الزهور،ج٢،ص٣٣٢ ، ويمكن أن نستدل بمثال آخر عندما توجه تمرباي المهمندار إلى دمشق سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م بخلعة لنيابتها باستمرار الأمير بردبك عليها، وحضر وعلى يده محضر عمل بدمشق بأن بردبك نائب دمشق مستمر على طاعة السلطان الظاهر خشقدم، وأنه من جملة خدامه، وأن الذي شاع عنه من الخروج عن الطاعة كذب من وضع أعدائه، فأظهر السلطان قبول ذلك . انظر : ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٦،ص٢٦٦ ، واستخدم بعض كبار الأمراء أيضاً المهمندارية فى تلك المهمة فقد بعث الأمير يشبك إلى قرا يوسف بصاروخان مهمندار حلب برسالة منه، حيث قد هاجم حلب، فلقيه على جانب الفرات وقد جازت عساكره الفرات، وهو على نية الجواز، فأكرمه قرا يوسف واعتذر إليه ثانيا عن وصوله إلى عينتاب، وحلف له أنه لم يقصد دخول الشام، وأعاده بهدية للنائب. انظر : ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج١٤،ص٦٩؛ ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٤،ص٢٣ .

وعلى جانب آخر ففى بعض الأحيان كان المهمندار مبعوث خاص للسلطان فى مهام محددة منها مرافقة بعض الشخصيات الهامة بتكليف من السلطان ، فعلى سبيل المثال عندما سار السلطان الظاهر بيبرس من الديار المصرية إلى الشام، سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م قابلته والدة الملك المغيث عمر صاحب الكرك بغزة، وطلبت لابنها الملك المغيث من الملك الظاهر بالأمان، فأحسن الظاهر بيبرس إليها، ثم توجهت إلى الكرك، وأرسل معها المهمندار شرف الدين الجاكي لتجهيز الإقامات للملك المغيث إذا حضر[١].

كما كلف السلطان الناصر محمد بن قلاوون المهمندار بمهام ذات طبيعة خاصة منها التوجه بالرسائل والخلع للملوك والسلاطين فأرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون خلعة وتشريفا وسيفا وفرسا بسرجه ولجامه، مع الأمير شهاب الدين أحمد المهمندار بالأبواب الشريفة إلى صاحب سيس ، وحسبما وصفت النصوص ما حمله شهاب الدين المهمندار أنها كانت " أنعاما كثيراً " [٢] .

ونظراً لأهمية المهام السابقة سواء كانت مهام عامة محددة أو مهام استثنائية فكان لابد من وجود توزيع إدارى لتواجد المهمندارية فى الخريطة السياسية للدولة المملوكية فلم تقتصر المهمندارية على مصر بل وُجدت في نيابات الشام كما في الديار المصرية ، وكان يتقلد هذه المهام وفق توقيع رسمى صادر من السلطة يحدد فيها صلاحياته المهمندار [٣]، وذكرت لنا النصوص أن ثمة تباين فى عدد من تولوا المهمندارية فى دمشق ،فعلى سبيل المثال في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون في نيابة الأمير تنكز الحسامي(٧١٢-٧٤١هـ/ ١٣١٢-١٣٤٠م)[٤] كان هناك

---

[١]أبو الفدار: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة ، (د.ت)،ج٣، ص٢١٦ ؛ العمري:مسالك الأبصار،ج٢٧،ص٤٠١؛النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ ،ج٢٩، ص٤٠١ .

[٢] أبو الفدا: المختصر،ج٤، ص٩٩ .

[٣] انظر ملحق رقم(١) لتقليد غرس الدين خليل الطناحي بالمهمندارية بالشام .

[٤] الأمير تنكز الحسامي: جُلب إلى مصر وهو صغير فأشتراه الأشرف خليل وآل أمره بعد ذلك للناصر محمد، وظل إلى جواره فترة وجوده بالكرك، وبعد رجوعه للسلطنة عينه نائباً للشام،

مهمندار واحد برتبة مقدم ألف[١]، ثم استقرت في دولة السلطان الأشرف شعبان بن حسين (٧٦٤-٧٧٨ه /١٣٦٣-١٣٧٦م) مهمندارين، وظلت على ذلك حتى نهاية العصر المملوكي، وفى بعض الأحيان كان يمكن لصاحب درجة أمير عشرة فى دمشق أن يتولى ذلك المنصب وجندي، ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته[٢] ، وفى نيابة حماة تقلد مهام منصب المهمندارية اثنان وهما جنديان[٣] وقد يكون أحدهما تارة يكون أمير طبلخاناه [٤] وتارة يكون أمير عشرة،

=ومن الحوادث الهامة التى تتعلق به أنه فتح مالطة سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م، فضلاً عن ذلك فقد كانت له إسهامات عمرنية جليلة ، فعلى سبيل المثال عمر بدمشق الكثير من العمائر منها على سبيل المثال جامعاً بحكر السماق وتربة وداراً وحماماً ومسجداً ومكتباً للأيتام، فضلاً عن إنشائه بيمارستان بصفد ورباطاً وحمامين بالقدس، أما عن نهايته فقد قُتل سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م بتحريض من الناصر محمد بالإسكندرية. انظر : الصفدي: أعيان العصر، ج٢، ص١١٦-١٣٧؛ الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٢٦٠ -٢٦٨؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م، ج٢، ص٣٢١؛ المقريزي: المقفي الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ج٢، ص٦٠٧-٦٢١ .

[١] مقدم ألف: كان منوط بهم قيادة ألف جندى من أجناد الحلقة في الجيش، وكان لهم علامات تشريفية خاصة بهم وتباينت أعدادهم فى العصر المملوكى من سلطان لآخر وعلى حسب درجاتهم. انظر : القلقشندي: ضوء الصبح، ص٢٤٤؛ السحماوى: الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم المعروف باسم المقصد الرفيع المنشا الهادي لديوان الإنشا للخالدي، تحقيق أشرف محمد أنس، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٣٨٤؛ ٣٧.

[٢] القلقشندي: صبح الأعشى،ج٤ ،ص١٩٤ ؛ حسن الباشا:الفنون الإسلامية ،ج٣، ص١١٥٥ .

[٣] القلقشندي: صبح الأعشى،ج٤ ،ص٢٤٤؛ حسن الباشا:الفنون الإسلامية ،ج٣،ص١١٥٦ .

[٤] أمير طبلخاناة: كان منوطًا به دق الطبول في مواكب السلطان ، أما عن آلية تنظيمهم فقد كان لكل منه من أربعين إلى ثمانين فارساً على ألا يقل عن أربعين فارساً، ومن الممكن أن يضم بعض العشرات أو ضم إمرتي عشرين أو أربع عشرات، ومن حقه أن يشتري أربعين مملوكاً على الأقل ليشترك بهم في الجيش. السحماوى: الثغر الباسم، ج ١، ص٣٨٥ .

والآخر جندي حلقة [١] ، أو أمير طبلخانة مثل الأمير طيبغا البوبكري المهمندار الذى تقلد مهام هذا المنصب فى سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م[٢].

خصوصية المهمندار ووضعيته الاجتماعية والسياسية فى العصر المملوكى :

كان للمهمندار خصوصية سياسية واجتماعية كبرى ، تأتت هذه الخصوصية من طبيعة دوره فى العصر الملموكى ومدى قربه من دوائر السلطة ، وربما يمكن أن نرصد ما ذهبت إليه الدراسة فى الحديث عن خصوصية الوضعية الاجتماعية والسياسية للمهمندار حتى على مستوى ألقاب المهمندار ، فقد تلقب بعض المهمندارية بالعديد من الألقاب المميزة والتى تعكس حالة الرقى الاجتماعى والسياسى التى نالها المهمندار، فالأمير تمر أمير مهمندار من ألقابه المقر الشريف العالي المولوي الأميري[٣]، ومن خلال نسخة طرة توقيع بالمهمندارية بالشام المحروس، كتب به لغرس الدين خليل الطناحي يتضح أنه لقب بالجناب العالي، الأميري، الكبيري، الغرسي، عضد الملوك والسلاطين[٤] .

كما تمثلت أحد حيثيات هذه الخصوصية من خلال المهام الأخرى الاستثنائية المنوطة به والتى أكسبته وضعية اجتماعية وسياسية متميزة فضلاً عما تمتع به بعضهم من خصوصية إدارية كبرى له فى النظام السياسى المملوكى فقد كانت إحدى مهامه مرافقة السلاطين في الحج [٥] .

وفى سياق آخر تتضح لنا مدى أهمية وخصوصية هذه الوظيفة من أن السلطان كان يفوضه فى بعض مهامه حال غيابه وأبرز الأمثلة على ذلك أنه عند

---

[١] القلقشندي: صبح الأعشى،ج٤ ،ص٢٢٥ .

[٢] المقريزي: السلوك،ج٣،ق١،ص١١٧ .

[٣] الصفدي:أعيان العصر،ج٥،ص٢٦٢ .

[٤] القلقشندي: صبح الأعشى،ج١٢،ص٢٩٢ .

[٥] على سبيل المثال توجه جريك المهمندار مع الركاب الشريف السلطاني إلى الحجاز الشريف فى الحجة الثالثة السلطان الناصر محمد بن قلاوون . انظر : ابن أيبك الدواداري:الدر الفاخر، ص٣٦٦ .

خروج السلطان الظاهر بيبرس إلى عكا سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م للخروج إلى عكا[١] استتاب الأمير شجاع الدين الشبلي المهمندار في الدهليز السلطاني[٢].

وطبيعى أمام هذه الخصوصية أن تسعى أى قوة عسكرية معادية أن توقع أحد هؤلاء المهمندارية فى الأسر كورقة رابحة ويمكن أن نرصد ذلك فى أحداث سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م عندما أغارت العساكر الحلبية على بلاد سيس [٣] وتم أسر الأمير فتح الدين صبرة المهمندار [٤] .

ولحساسية هذا المنصب وخصوصيته فقد سعى إليه العديد من رجال الدولة وغيرهم فى العصر المملوكى وتنافسوا ولم يدخروا جهدًا فى سبيل الوصول لهذا المنصب

---

[١] جرد السلطان من كل عشرة فارسا وساق من منزلة الطور نصف الليل، فصبح عكا وأطاف بها من جهة البر وندب جماعة لحصار برج كان قريباً منه فشرعوا في نقبه وأقام السلطان على ذلك إلى قريب المغرب وعاد وكان قصده بذلك كشف مدينة عكا فإن الفرنج كانوا يزعمون أن أحدا لا يجسر أن يقرب منها فصاروا ينظرون من أبواب المدينة ولا يستطيعون حركة، ولما عاد السلطان إلى الدهليز ركب لما أصبح وأركب ناسًا معه وساق إلى عكا، فإذا الفرنج قد حفروا خندقا حول تل الفضول وجعلوا معاثر في الطريق ووقفوا صفوفا على التل فلما أشرف السلطان عليهم رتب العسكر بنفسه. النويري:نهاية الأرب،ج٣٠،ص٢٥٧، ٢٥٨ .

[٢] النويري:نهاية الأرب،ج٣٠،ص٢٥٧ .

[٣] تعود الأحداث أنه جرد الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصورى طائفة من العسكر الحلبى وقدم عليهم مملوكه الأمير سيف الدين قشتمر، وكان ولد قطلوشاه بأطراف الروم فى ثلاثة آلاف فارس فأرسل إليهم صاحب سيس، وبذل لهم مالا جزيلا وكان عنده جمع من الفرنج فاجتمعوا هم والتتار فى ستة آلاف فارس، ثم بلغ العسكر الحلبى اجتماعهم، فذكر الأمراء ذلك لمقدمهم الأمير سيف الدين قشتمر وأشاروا عليه أنهم يرحلون بالغنائم قبل أن يلحقهم العدو، فلم يرجع لرأيهم ففارقه بعض الأمراء فى نحو ربع العسكر، وساق تلك الليلة جميعها ونجا بمن معه، وبقى بقية العسكر فجاءهم التتار ومن انضم إليهم من الأرمن، فانهزم العسكر الحلبي ، وندم صاحب سيس وخشى غائلة العساكر الحلبية، وكتب إلى الأمير شمس الدين قراسنقر نائب السلطنة بحلب يبذل له الطاعة والأموال، ويسأل الصفح عن ذنبه، وأنه يقوم بالقطيعة المقررة عليه، فطالع قراسنقر الأبواب السلطانية فى ذلك فأجيب سؤاله.النويري:نهاية الأرب ، ج٣٢،ص٩٨

[٤] النويري:نهاية الأرب،ج٣٢،ص٩٨ .

ولذلك فقد كان منطقياً أن تكون الوساطة أحد آليات تقلد وظيفة المهمندارية فى العصر المملوكى ، وقد نقلت بعض الروايات أمثلة على هذا الطرح ، فعلى سبيل المثال يمكن أن نرصد هذا مع الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد[١] الذي توسط له الأمير سيف الدين بكتمر الساقي عندما مات الأمير شهاب الدين أمير مهمندار، وبناءً على هذه الوساطة عينه السلطان الناصر محمد فى منصب المهمندارية [٢].

وارتباطاً بالطرح السابق فقد كانت صلة القرابة لها عامل في تولى المهمندارية ، مثلما حدث مع محمد بن قانباي اليوسفي الذى تولى المهمندارية بعد أبيه في عهد السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/١٤٦٠-١٤٦٧م)[٣].

وبناءً على هذه الخصوصية فقد اعتاد سلاطين المماليك أن يقدموا الخلع للمهمندار في العديد من المناسبات ويبدو أن تقلد المهمندارية كان لابد أن يزامنها وجود أعطيات ومنح وخلع للمهمندار الجديد فعلى سبيل المثال كما نقلت النصوص استدعاء السلطان الأشرف شعبان الأمير صلاح الدين يوسف المهمندار وخلع عليه وتم تعيينه فى وظيفة الدوادارية [٤] ، كما نقلت المصادر أنه قد خُلع على الأمير علم الدين إبان تقلده مهام المهمندارية سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م[٥] ، ومثال آخر ما حدث سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م عندما خُلع على الأمير سيف الدين طقتمر الأحمدي وقد

---

[١] الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد:تولى منصب الدوادار للأمير سيف الدين قجق ثم الحجوبية فى حلب ثم ولي بها شد الدواوين ، وتطور أمره بأن تقلد نيابة ثغر الإسكندرية ثم ولاية منفلوط بالصعيد ، ثم شاد الدواوين بالقاهرة ، وانحط قدره فترة من الوقت حيث عُزل وبقي بمصر أميراً ، ولكن عاد لدائرة السلطة مرة أخرى حيث جهزه السلطان رسولا إلى السلطان أبو سعيد ، ويبدو أن نجمه السياسى كان على وشك الصعود مرة أخرى لدرجة أنه أُشيع بقرب توليه منصب الوزارة ولكن السعايات والوشايات أبطلت ذلك . انظر : الصفدي:الوافي بالوفيات، ،ج٢٩،ص٤٥؛ أعيان العصر ،ج٥،ص٦٠٩ .

[٢] الصفدي:الوافي بالوفيات،ج٢٩،ص٤٥؛أعيان العصر،ج٥،ص٦٠٩ .

[٣] السخاوي: الضوء اللامع،ج٨،ص٢٩١ .

[٤] الصفدي:أعيان العصر،ج٥،ص٦٠٩؛ المقريزي:المقفى الكبير،ج٢،ص١٥٨ .

[٥] المقريزي: السلوك،ج١،ق٣،ص٧٤٣ .

تزامنت هذه الخلعة مع تعيينه فى مهام المهمندارية [١] ، وهو ما حدث أيضاً عند تعيين الأمير تمر البريدي فى وظيفة المهمندار سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م فخُلع عليه[٢] ، كما خُلع أيضاً على الأمير التاج الشويكي عن تعيينه فى وظيفة المهمندار سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م[٣].

ومن هذه الخصوصية أيضاً منحهم بعض الإقطاعات ، فقد تم الإنعام على بعض المهمندارية من قبل السلاطين بإقطاعات متميزة ، فقد أقطع السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م الأمير شجاع الدين طغربل الشبلي أمير مهمندار نصف كفر راعي[٤]، كما قُرر طرنطاي المهمندار في إقطاع الأمير سنجر [٥].

ومن الدلائل الهامة التى تعكس مدى خصوصية وأهمية الوضعية الاجتماعية للمهمندار هو ما قام به من مصاهرات وصلت لأعلى درجات الهرم الاجتماعة فى المجتمع المملوكى ، فقد صاهر الشهاب أحمد بن الخطائي المهمندار الخليفة المتوكل على الله على ابنته الست مريم، وزادت وجاهته[٦] ، ومن هذه الخصوصيات أيضاً أيضًا ما نُقل بخصوص رغبة الأمير ناصر الدين محمد بن الخطير[٧] أمير طبلخاناة بدمشق الى الأمير سيف الدين تمر المهمندار وخطب منه قطلو ملك ابنة الأمير شرف الدين موسى بن منكوتمر لأنها حسبما عبرت النصوص " في كفاية كنفه، وظل حجره وتصرفه، ومهاد بره وتلطفه" [٨] .

---

[١] المقريزي: السلوك، ج٢،ق٢،ص٣٦٨ .

[٢] المقريزي: السلوك،ج٣،ق٣،ص١٠٦٠ .

[٣] المقريزي:السلوك،ج٤،ق٢،ص٩٣٨؛ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٤،ص٣٧٢؛ابن إياس:بدائع الزهور،ج٢،ص١٦١ .

[٤] النويري:نهاية الأرب،ج٣٠،ص٢٨٠ .

[٥] ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج١،ص١٠٢ .

[٦] ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٦،ص٢١٦ .

[٧]الأمير ناصر الدين محمد بن الخطير: ولد بدمشق في سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، تولى إمرة طبلخانة ، وقد كان طموحاً يعيش حياة إجتماعية مرفهة ويغالي في الخيول والملبوس ، كان حريصاً على اقتناء الأملاك ، وأخذ لأولاده إقطاعات جيادا في حلقة دمشق، وتوفي سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م. انظر : الصفدي:أعيان العصر،ج٥، ص٢٦٠ .

[٨] الصفدي:أعيان العصر،ج٥، ص٢٦٠، ٢٦٢ .

الجدير بالذكر فإن هذه المكانة المتميزة للمهمندار وما تمتع به من صلاحيات واسعة ونفوذ ودائرة علاقات أغرت بعض المهمندارية فى استغلال هذه الصلاحيات وقد نقلت لنا إحدى النصوص مثالاً واضحاً على ذلك يتعلق هذا المثال بالمهمندار يعقوب شاه الذى توسط لشمس الدين محمد الغزي في قضاء الحنفية بمصر، من غير أن يترشح لذلك، ويبدو أن الأخير لم يكن مؤهلاً لهذا المنصب وهذا ما عكسته النصوص التاريخية بوصفه " من غير ذكر طائل ولا شهرة ودلس على السلطان الأشرف قايتباي في أمره " ، فطلبه السلطان وقرره في القضاء وأفيض عليه شعاره بعد أن أنعم عليه السلطان بأشياء كثيرة[١].

بالإضافة إلى ما سبق فقد عاش المهمندار حياة اجتماعية مميزة مثل التى عاشها كبار رجال الدولة فقد امتلك قطاع كبير منهم عددًا من الجوارى يمكن أن نفهم ذلك بشكل غير مباشر عن تلك الأخبار المتعلقة بحمل إحدى الجوارى من الأمير تمر المهمندار [٢].

أما عن سكن المهمندارية فقد عكس أيضاً حالة من التميز فقد كان يقيم فى دار الضيافة [٣] ، فتشير النصوص أن الأمير سيف الدين بهادر الأعسر[٤] ولي المهمندارية بدار الضيافة وعلى بابها بئر بجانبها حوض يملأ لشرب الدواب منه[٥] ،

---

[١] ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٧، ص٢٨٥ .

[٢] المقريزي: السلوك،ج٣،ق١،ص٣٥ .

[٣] القلقشندي:صبح الأعشى،ج ٤،ص٦٠؛المقريزي:الخطط المقريزية ،ج٣، ص١٣٦؛ السلوك،ج٣،ق٢،ص٨٦٤؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٤٧٨ .

[٤] الأمير سيف الدين بهادر الأعسر: كان مشرفاً على مطبخ أحد كبار الأمراء وهو الأمير سيف الدين فجا الأمير شكار، ثم صار زردكاش الأمير الكبير يلبغا الخاصكي، ، تقلد مناصب أخرى مثل وظيفة شد الدواوين ، ولكن وضعه انتهى بزوال دولة الملك الظاهر برقوق، حيث تم القبض عليه ونفيه من القاهرة إلى غزة، ثم عاد بعد ذلك إلى القاهرة وأقام بها حتى توفى في يوم عيد الفطر سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م. انظر : المقريزي: الخطط المقريزية،ج٣،ص١٣٦؛السلوك،ج٣،ق٢، ص٨٦٤ .

[٥] المقريزي:الخطط المقريزية،ج٣،ص١٣٦ .

واستمر فى الإقامة بدار الضيافة حتى توفى بها [١]،ويعقوب شاه بن أسطا علي الذى كان يقيم أيضاً فى دار الضيافة [٢] .

ولم تقتصر إقامة المهمندارية على دار الضيافة بل كان لبعضهم مساكنهم الخاصة الفارهة وحسب وصف المصادر المعاصرة لأحدى بيوت المهمندارية أنه كان بيت سعادة وحشمة ومعروف ورياسة وثروة كبيرة [٣] ، كما أن مواقع هذه البيوت كانت مواقع متميزة فنجد مثلاً إشارات عن دار نكباي المنسوبة للأمير نكباي البريدي المهمندار وهي خارج مدينة مصر على النيل ، ويبدو أن هذا البيت كان لافتاً حيث وصفت النصوص أن نكباى عنى بعمارته [٤] .

ومن الإشارات التى تدلل على مدى بهاء بعض بيوت المهمندارية أن الأشرف برسباي كان ينزل إحدى بيوت المهمندار مقابل جامعه [٥] ويبدو أن بيوت المهمندارية لرونقها كانت تجذب كبار رجال الدولة وتغريهم باقتنائها مثل ما أشارت إليه إحدى النصوص بانتقال الأمير ناصر الدين بن تقي البابي إلى حلب، واشترى بيتا من بني المهمندار وأضاف إليه بيوتا[٦] ،أما يعقوب شاه بن أسطا المهمندار فقد وسع داره بل وجدد مسجداً بقربه وعمل علوه بيتا أسكن به الزين السنتاوي وسبيلاً بجانبه[٧] .

الجمع بين المهمندارية ووظائف أخرى:

سمح النظام الإدارى المملوكى والسلطة السياسة للمهمندار بالجمع بين وظيفته وغيرها من الوظائف، هذا وقد قدمت النصوص أمثلة على هذه الآلية ، فعلى سبيل المثال وردت المراسم الشريفة سنة ٧١١هـ/١٣١١م أن يتولى الأمير عبد الله

---

[١] المقريزي:الخطط المقريزية،ج٣،ص١٣٦؛ السلوك،ج٣،ق٢،ص٨٦٤ .

[٢] السخاوي: الضوء اللامع،ج١١،ص١٨٠ .

[٣] ابن العجمي: كنوز الذهب في تاريخ حلب،دار القلم ، حلب ، ١٤١٧هـ، ج١،ص٢٥٩ .

[٤] المقريزي: السلوك،ج٢،ق٣،ص٧٩٧؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج١٠،ص٢٤٢ .

[٥] ابن العجمي: كنوز الذهب،ج٢،ص١٨٣ .

[٦] ابن العجمي: كنوز الذهب،ج١، ص٣٣٨ .

[٧] السخاوي: الضوء اللامع، ج٤،ص١٢٧،ج١٠،ص٢٨٠ ، ٢٨١ .

بن أيبك الدوداري منصب شاد الدواوين[١] بالشام بالإضافة إلى مهامه الأصلية فى المهمندارية، فامتنع من ذلك، ومن الغريب أنه تكليفه بهذه المهام لم تكن اختياريه فلم يتهاون النظام السياسى فى ترك أى نوع من الحرية أو المرونة فى قبول أو رفض هذه التكليفات بل أظهر النظام السياسى وجهًا شرسًا أمام أى امتناع يتعلق بهذا الصدد ، فمثلاً تم تهديده بالطلاق من نسائه، وإذا لم يوافق ضربه أربعمائة عصاة، وقيده وسيره إلى الأبواب، وكاتب فيه أنه خالف مرسوم السلطان الناصر محمد، فباشر شاد الدواوين عوضا عن الأمير سيف الدين طوغان[٢]، فجمع عبد الله الدوداري بين شاد الدواوين بدمشق والمهمندارية وأقام بها حتى وفاته[٣].

أمثلة أخرى أيضاً قدمتها المصادر لحالات الجمع بين المهمندارية والوظائف الأخرى مثل الجمع بين المهمندارية ونقابة الجيوش وتجسد هذا فى حالة الأمير شهاب الدين أحمد بن جمال الدين آقوش المهمندار الذى تولى منصب نقابة الجيوش المنصورة سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م وأضيفت هذه المهام إليه إضافة إلى ما كان بيده من المهمندارية، ومن الواضح أنه أدى مهامه فى الوظيفتين بشكل مرضٍ ، وقد عبرت المصادر عن ذلك بقولها " ومشى فيها مشيا حسناً، ... وقام بأمر الوظيفتين قياما جيدا[٤] ، كما ذكر المقريزى حالة أخرى أيضاً تتعلق بالأمير عز الدين دقماق نقيب الجيوش الذى جمع بين هذه الوظيفة ونقابة المماليك سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م[٥]

---

[١] شاد الدواوين: إحدى الوظائف الهامة فى العصر المملوكى وكانت صلاحيات صاحبها فى مرافقة الوزير، والتفتيش على مالية الدواوين وعلى موظفيها . انظر : السبكى:معيد النعم، ص٢٨؛ القلقشندي: ضوء الصبح، ص٢٤٨؛ السحماوى: الثغر الباسم،ج١، ص٤٠١؛سعيد عاشور: العصر المماليكى، ص٤٤٨، ٤٤٩؛ محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشي، ص١٩١ .

[٢] ابن أيبك الدواداري: الدر الفاخر،ص٢٠٩ ، ٢١٠ .

[٣] ابن أيبك الدواداري: الدر المطلوب،ص٣٧٣، الدر الفاخر،ص٢١٤ .

[٤] ابن أيبك الدواداري:الدر الفاخر،ص٢٩٥، ٢٩٦ ؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج٩،ص٢٤٦.

[٥] السلوك ،ج٢،ق١،ص٢٨١ .

ولم تتوقف المصادر عن رصد تلك الحالات التى تم الجمع فيها بين المهمندارية ووظائف مرموقة أخرى فقد ولى الأمير سيف الدين تنكز الأمير سيف الدين تمر مهام " شد الزكاة " سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م ثم أضاف إليه المهمندارية، وجعله بطبلخانة [١] كما ذُكرت تفصيلات تتعلق بالمهام التى جمعها الأمير يحيى بن لاقى سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م الذى تولى عدة مهام يمكن وصفها أنها مهام جسيمة ، فقد تولى مسؤولية شاد الخاص بالإضافة لمهام الأستادارية [٢] والمهمندارية [٣] .

ومهما يكن من أمر فقد استمرت آلية الجمع بين عدة ملفات فى النظام الإدارى المملوكى ، وما يعنينا هنا هو حضور مهام المهمندارية فى تلك المهام وهو ما نجده فى قرار السلطان الأشرف برسباي(٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٧م) الذى أضاف إلى التاج الوالي مسؤليات متعددة وهى " المهمندارية وأستادارية الصحبة وشاد الدواوين والحجوبية ونظر الأوقاف العامة وغيرها سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م[٤]، وفي ذات المنحى ففى سنة ٨٦٢هـ/١٤٥٧ أمر السلطان الأشرف إينال بعزل القاضي صلاح الدين بن بركوت المكيني[٥] عن حسبة القاهرة، وكلف المهمندار الحاج خليل المعروف بقاني باي اليوسفى المهمندار بالقيام بتسير أعمال حسبة القاهرة بالإضافة إلى المهمندارية[٦].

---

[١] الصفدي:أعيان العصر،ج٢،ص١٠٩ ، ١١٠.

[٢] الاستادار: كلمة فارسية معربة، تنقسم لشقين الشق الأول استا بمعنى الأخذ، والشق الثانى دار بمعنى ممسك، تُصنف هذه الوظيفة على أنها من وظائف أرباب السيوف، كان منوطاً بصاحبها تولى شئون بيوت السلطان ، بدءاً من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان، وله صلاحيات تتعلق بالتصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من كافة الأمور اللوجستية والنفقات والكساوى.السحماوى: الثغر الباسم، ج١، ص٣٩٤؛ ابن كنان: حدائق الياسمين، ص١٢٠؛ سعيد عاشور:العصر المماليكى، ص٤١١ .

[٣] ابن حجر العسقلاني:إنباء الغمر بأنباء العُمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١١م ،ج٣،ص٢١١؛ السخاوي: الضوء اللامع،ج٧،ص١٥٨ .

[٤] المقريزي: السلوك،ج٤،ق٢،ص٩٣٨ ؛ابن حجر العسقلاني:إنباء الغمر،ج٣،ص٤٠٧؛ السخاوى: الضوء اللامع،ج٣،ص٢٤ ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٤،ص٣٧٢ ؛ ابن إياس:بدائع الزهور،ج٢،ص١٦١.

[٥] صلاح الدين بن بركوت المكيني: حبشي الأصل تولي عدة وظائف سنية منها حسبة القاهرة، ثم تولى منصب قضاء الشافعية بمصر سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م في عهد السلطان الظاهر خشقدم، لم يستمر في منصبه طويلاً وعُزل سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م، وتوفى سنة ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م. ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص١٢٠؛ محمود رزق سليم: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ط٢، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٦٢م،ج١، ق٢، ص١٣٨.

[٦] ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج١٦،ص١١٨ ، ١١٩ .

أبرز الإسهامات الحضارية للمهمندار فى العصر المملوكى :

أ/ الناحية الفكرية والثقافية :

لم يقتصر دور المهمندار على وقائع السياسية والدبلوماسية والنظم والرسوم فقط ، بل حملت المصادر أخبار شخصيات من المهمندارية كان لهم نزوع ثقافى وفكرى هام ، فعلى سبيل المثال اهتم بعضه بالشعر مثل ما نقلته إحدى الروايات عن سيف الدولة المهمندار الذى أتقن الشعر ، ويمكن أن نستدل على ذلك بأبياته التى مدح فيها السلطان الظاهر بيبرس :

يوما بمصر ويوما بالحجاز ويوما بالشام ويوما فى قرى حلب
وتارة فى أرض سيس ينهبها ومرة للتتار المغل فى الطلب[١]

ومن المهمندارية من ساهم في التصنيف إلى جانب الشعر، كبدر الدين يوسف المهمندار ، وصفته النصوص التاريخية بأنه شيخ فاضل، شاعر مؤرخ، صنف تصانيف منها كتاب في الأنساب، ومنها كتاب في البديع سماه الآيات البينات ، ومن أشعاره :

وليلة مثل عين الظبي وهي معي قطعتها آمنا من يقظة الرقبا
أردفته فوق دهم الليل مختفيا والصبح يركض خلفي خيله الشهبا
حتى دهاني وعين الشمس فاترة وقد جذبت بذيل الليل ما انجذبا[٢].

كما اهتم بعضهم بعلم التاريخ ، حيث صنف يعقوب شاه بن أسطا كتابًا تناول فيه طرفًا من تاريخ التركمان وأولاد دلغادر ومماليك الترك الآخرين، انتقاه من تاريخ ابن حجر العسقلاني وتاريخ العيني ويوجد منه نسخة في مكتبة طوب قابي سراي[٣] ، كما كان يعقوب شاه بن أسطا من أنصار التصوف يعتقد في الأولياء والمشايخ منهم الشيخ زين الدين السنتاوي، والشيخ أبي الخير الكركي البرلسي خليفة المقام الدسوقي [٤].

---

[١] ابن أيبك الدواداري:الدرة الذكية، ص٢١٢ .

[٢] الكتبي : فوات الوفيات والذيل عليه ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م،ج٤،ص٣٤٩؛الصفدي:أعيان العصر،ج٥،ص٦٣٧؛ الوافي بالوفيات،ج٢٦، ص٩٦؛ ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة،ج٦،ص٢٢٧ .

[٣] فرج الحسيني:نقش كتابي بصهريج يعقوب شاه المهمندار بالقاهرة، يسجل مآثر السلطان قايتباي المعمارية والحربية،(٩٠١هـ/١٤٩٥-١٤٩٦م)،بحث منشور بمجلة أبجديات، العدد ١٣، ٢٠١٨م، ص١١٢ .

[٤] السخاوي: الضوء اللامع،ج١٠،ص٢٨١، ج١١،ص ١١٠ .

ومن المهمندارية الذين كان لهم شغف ودور ثقافى " يونس بن علي بن خليل بن منكلى الشرف الحنفي " والذى عمل فى وظيفة المهمندار في عصر السلطان الظاهر جقمق وشهدت العديد من المصادر التاريخية بوضعيته الثقافية المختلفة والمرموقة [١] ،وعندما حُصرت تركة أحد المهندارية وهو الأمير سيف الدين بهادر الأعسر المهمندار كان فيها عدة كتب في أنواع من العلوم[٢].

كما كان لبعض المهمندارية دور فى الحركة التعليمية والتى تجلت فى إنشاء المدارس مثل المدرسة المهمندارية[٣] وتعرف أيضًا بالخانقاة المهمندارية فبناها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزي المهمندار في سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م وجعلها مدرسة وخانقاه، وجعل طلبة درسها من الفقهاء الحنفية [٤] .

ب/ دور المهمندار في العمران :

أسهم بعض المهمندارية في العديد من العمائر ومنها العمائر المدنية والدينية وغير ذلك من منشآت حيوية فى المجتمع المملوكى وقد نقلت المصادر إشارات متعددة عن دور المهمندار في بناء الجسور، منها ما ذكرته النصوص عن سفر الأمير جمال الدين بن نهار المهمندار ٦٦٤هـ/١٢٦٥م لبناء جسر على نهر الشريعة ، ويبدو أن كافة التسهيلات قد أحاطت هذه المهمة من تمويل ومواد

---

[١] حسب السخاوى الذى نقل أخبار عنه بأنه قرأ القرآن والعمدة والمختار وعرض على العلم البلقيني وابن الديري والعيني في آخرين، ورأى السخاوي بعض الطلبة كتب عنه ما أنشده له ابن المرضعة لنفسه:

نحن في مجلس لهو قد تحققنا مجازه

ونسجنا البسط ثوبا فتصدق كن طرازه

ووصفه بالبشاشة وحسن المحاضرة. انظر : السخاوي: الضوء اللامع،ج١٠،ص٣٤٣ .

[٢] المقريزي:الخطط المقريزية،ج٣،ص١٣٦ .

[٣] المدرسة المهمندارية: من المنشآت المعمارية الهامة تقع خارج باب زويلة فيما بين جامع الصالح وقلعة الجبل بخط جامع المارداني خارج الدرب الأحمر . انظر: الخطط المقريزية،ج٤،ص٢٥٧ .

[٤] المقريزي:الخطط المقريزية،ج٤،ص٢٥٧ ، ٢٨٨ ؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج٩،ص٣٣٣؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية،ج٣،ص١١٥٤ .

وتعليمات بمنح كافة الدعم والصلاحيات للمهمندار جمال الدين [١] ، ويبدو أن جمال الدين كان له خصوصية لدى السلطان الظاهر برقوق وهو ما شهد به ابن تغرى بردى واصفاً الأمير جمال الدين بأن " له همة عالية ويندبه السلطان الظاهر برقوق للمهمات" ، كما دلل نص ابن تغرى بردى عن العقلية المتميزة للأمير جمال الدين ومدى قدرته إلى إدرة الملفات والمهام المُسندة له بتميز واقتدار [٢].

ومن المساهمات العمرانية التى ساهم فيها المهمندارية " درب الجاكي " الذى أُنشئ على يد المهمندار الأمير شرف الدين إبراهيم بن علي بن الجنيد الجاكي حتى عرف باسمه ، وقد اندثر في عهد السلطان المؤيد شيخ(٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)[٣].

كما اقترن اسم المهمندار بالعديد من المنشئات الحضارية ذات الطابع الاقتصادى [٤] والاجتماعى ، بل إن أحد مهام المهمندار الاستثنائية كانت مهام عمرانية أبرزها حفر البرك [٥] ، فضلاً عن إسهاماتهم فى عمران وإنشاء الحمامات ، فعلى سبيل المثال قام الأمير ناصر الدين المهمندار بعمارة حمام خارج باب توما ظاهر دمشق فتوفي قبل اكتماله فاشتراه وأكمل عمارته الأمير سيف الدين الجي بغا

---

[١] المقريزي: السلوك ،ج١،ق٢،ص٥٤٤ .

[٢] حسب ابن تغرى بردى أن السلطان الظاهر برقوق أرسله لعمارة جسر دامية وجرت له في عمارته عجيبة لأن الشريعة كان بها مياه عظيمة، وكان له وللولاة وللآلات عدة شهور ينتظرون العمل فلا يتمكنون من كثرة الماء فلما كان في بعض الليالي وقع فيها تل من تلالها فانقطع الماء، وتوجه شخص ليشرب من الشريعة فلم يجد بها قطرة من الماء، فعاد وأعلم الأمير جمال الدين فقام من وقته بالمشاعل وحفر الركائز، وبناها إلى أن فرغ منها وعاد الماء وجرى على عادته. انظر: ابن تغري بردي:المنهل الصافي،ج١،ص١٨١ ، ١٨٢ .

[٣] المقريزي:الخطط المقريزية،ج٣،ص٨٣ .

[٤] من تلك العمائر المدنية ذات الطابع الاقتصادي الفنادق ، فكان يوجد فندق المهمندار الذي يدق فيه الذهب وموضع هذا الفندق القصر النافعي قرب التربة يقرب من جهة السبع خوخ كان فيه عجائز من عجائز القصر وأقارب الأشراف واشترى بعض هذا القصر الأمير ناصر الدين عثمان بن سنقر الكاملي المهمندار الذي يعرف بفندق المهمندار بعد أن كان اصطبلا له . انظر : المقريزي:الخطط المقريزية،ج٢،ص٢٨٩ .

[٥] راجع فى ذلك ما نقله النويري:نهاية الأرب،ج٣٣،ص١٧ .

العادلي، وهو حمام كبير فسيح، فيه ثلاثون جرنا، ويشتمل على أربع مقاصير، وأوجر في كل يوم بخمسة وعشرين درهما[١] ، وكما مر بنا فقد أنشأ الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزي المهمندار في سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م المدرسة المهمندارية وبنى إلى جانبها القيسارية والربع[٢] .

ومن إسهامات المهمندارية فى الناحية العمرانية أيضاً ما قام به المهمندار يعقوب شاه حيث أنشأ صهريجًا سنة٩٠١هـ/١٤٩٥م على بعد خطوات من القلعة [٣]، ويعلق أحد الباحثين على وظيفة هذا الصهريج [٤] أنه بُني لخدمة الصوفية الصادرين

---

[١] البرزالي: المقتفى،ج٤،ص٤٥٥ .

[٢] المقريزي:الخطط المقريزية،ج٤،ص٢٥٧ ، ٢٨٨ ؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج٩،ص٣٣٣؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية،ج٣،ص١١٥٤ .

[٣] انظر لوحة رقم ١ ، ويشير فرج الحسينى أن هذا الصهريج يقع جنوبي القلعة وهو مبنى صغير يطل بواجهته المبنية بنظام الأبلق ناحية الغرب، ويشغل طرف هذه الواجهة مدخل الصهريج وهو مدخل يعلوه عقد ثلاثي الفصوص، وتوجد فتحة الباب في دخلة غير عميقة على جانبيها جلستان ويعلوها عتب حجري فوقه نافذة مستطيلة نقش فوقها لفظ الجلالة، وعلى يمين المدخل شباك كبير كان يستخدم لتسبيل الماء، ويعلو هذا الشباك نافذة قنديلية، وعلى يمين الشباك المذكور من أسفل يوجد حنية بها فتحة تخترق الجدار، وكان يصب فيها الماء من القرب المحملة على ظهور الجمال لملء الصهريج وتؤدي فتحة الباب إلى دركاة مغطاة بقبو متقاطع، يدخل منها إلى القبة، وهي خالية من أي زخارف من الخارج ومن الداخل . انظر : فرج الحسيني:نقش كتابي، ص١١٣ ، والشريط الكتابي . انظر الملاحق لوحة رقم (٢) .

[٤] ينقل الباحث فرج الحسينى النص التأسيسى لهذا الصهريج على النحو التالى : "مما أنعم الله على العبد الفقير الحقير تراب الأقدام يعقوب شاه المهمندار عمارة هذين الصهريجين والقبتين في دولة المقام الشريف الخاقاني الفغفوري الفريدوني تاج ملوك العرب والعجم خادم الحرمين الشريفين الذي فاق أقرانه من الملوك بالعلم والعمل والفروسية أبو الفتوحات السلطان منها جريان عين عرفة وعين بيت المقدس وعمارة مسجد الخيف والحرم النبوي على ساكنه أفضل الصلوة والسلام وتوجه العساكر المنصورة إلى مملكة الروم لرد عساكرهم فلما تقابل العسكران وهجمت العساكر المنصورة عليهم كالأسود الضراغم فضيقوا عليهم الأرض بما رحبت فما وسعهم إلا الفرار ففروا كحمر مستنفرة فرت من قسورة فوقع في قبضتهم باش عساكرهم بن هرسك ومن دونه وشبع من لحوم قتلاهم الضباع والذياب والنسور والعقبان فأحضروهم في السلاسل والأغلال بين يدي الحضرة المعظمة وصناجقهم منكسة بالحوش الشريف وكان يوما ما كتب مثله في تواريخ الملوك السالفة وكان الفراغ في سنة إحدى وتسعماية . انظر : فرج الحسيني:نقش كتابي، ص١٠٧ ، وراجع أيضاً : حسن الباشا:الفنون الإسلامية ،ج٣،ص١١٥٥ .

والواردين لكهف السودان خاصة، وللمارين بالدرب السلطاني تحت القلعة طالبين صحراء المماليك عامة، بدليل أنه ذكر في بيتي الشعر المنقوشين على واجهة الصهريج أنه سأل الله تعالى في جنح الليالي أن يجعله خادمًا "تراب أقدام" لأصحابه فجعله الله بجوارهم في "صورة المبنى" يسقي العطشى منهم شرابًا رائقًا لجنابهم، وكذا يلبي حاجة الفعلة والمعلمين المشتغلين في حرفة قلع الأحجار وقطعها وتسويتها من مقلع الحجارة القريب من تلك المنطقة [١]

كما كانت المساجد أحد أوجه النواحى المعمارية التى شارك فيها المهمندار ، ويذكر حسن الباشا وجود كتابة أثرية مؤرخة سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م تتضمن بناء تربة ومسجد باسم أحمد المهمندار ونقيب الجيوش المنصورة الناصرية ، وبمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة لوحان من الخشب من مسجد المهمندارية أيضًا عليها كتابة آثرية تذكارية تتضمن إنشاء المسجد بإسم أحمد المهمندار[٢].

أما جامع المهمندار[٣] فقد بناه الحسين بن بلبان حسام الدين المهمندار،ووقف

---

[١] فرج الحسيني:نقش كتابي، ص١١٦ .

[٢] حسن الباشا: الفنون الإسلامية،ج٣،ص١١٥٤ ، ويشير حسن الباشا أنه يوجد بمتحف المتروبوليتان مشكاة من الزجاج المموه بالمنيا من مصر عليها كتابة نصها "هذا ما وقف العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفو الله تعالى أحمد المهمندار غفر الله له" ، بالإضافة إلى رنك على هيئة قرص أبيض يشتمل على درع ذهبي اللون . انظر : حسن الباشا: الفنون الإسلامية،ج٣،ص١١٥٥ .

[٣] انظر ملحق رقم ٣ ، يقدم الباحث " وليد الأخرس " وصف تفصيلى لهذا الجامع أنه يتألف من صحن تحيط به أربع ظلات أكبرها القبلية، ومدخله من الجهة الغربية ، تتألف المئذنة من خمسة طوابق، يليهما شرفة المؤذنين، وتتألف المئذنة من قاعدة مربعة يعلوها بدن، كما يعلو ضلعي مدخل المئذنة الجنوبي والغربي نقش كتابي نصه " إلهي لك الحمد الذي أنت أهله على نعم ماكنت قط أهلا إذا زدت تقصيراً تزدني تكرما كأني بالتقصير أستوجب الفضلا" . انظر : وليد عبد الرحمن الأخرس: جامع المهمندار"دراسة تاريخية وصفية" ، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر التاسع عشر للإتحاد العام للأثريين العرب :دراسات في آثار الوطن العربي، القاهرة، ٢٠١٦م، ص١٥٢٧، ١٥٢٨ ، وحسب ذات الباحث فإن والطابق الأول من المئذنة مثمن الشكل،وزين هذا القسم من خلال جعل كل ضلع من أضلاعه على شكل مستطيل بارز يتوسطه شكل محراب غائر ويتم الانتقال من هذا الطابق ذى المقطع المثمن إلى الطابق الذي يليه من

عليه وقفا منه حصة بقرية السموقة وحصة بحمام عزاز [١]، ومن الجدير بالذكر فقد شرط الواقف على نفسه وذريته من بعده ثم على عتقائه وبانقراضهم يقسم أثلاثا : ثلثًا على مدرسته في العريان تنسب لوالده، وثلث على الفقراء، وأوقف محمد بن موسى بن علي مهمندار المملكة الحلبية على هذا الجامع عدة أراض إعشارية من

=خلال مدماك، أما الطابق الثاني من المئذنة أسطواني الشكل، يتميز بكثرة زخارفه، ويحتوي هذا القسم على نافذة جنوبية على شكل مرمى السهام، ينتهي هذا الطابق بمدماك مزين بخطوط بارزة منكسرة، شكل الفاصل بين هذا الطابق والطابق الذي يليه،وهوالطابق الثالث وهو أسطواني الشكل أيضاً وهو كثير الزخرفة حيث يزين المدماك الأول صف من المقرنصات، ويسقف الشرفة مظلة خشبية مضلعة ١٢ضلعًا وهي أول مظلة في حلب ذات ١٢ضلع حيث كانت المظلات في المآذن قبله مربعة أو مثمنة . انظر : وليد الأخرس: جامع المهمندار، ص١٥٢٨، ١٥٢٩ ، وتستند القبة في جامع المهمندار على ١٢ ضلع كما في غالبية مساجد هذا العصر، ويتم الانتقال من القاعدة المربعة إلى الشكل الكروي بواسطة سروال حجري أو مثلثات هرمية مقلوبة، وكان منبر جامع المهمندار مبنيًا من الحجر ومزيناً بالمرمر، وتحمل قبة المنبر أربعة أعمدة مزينة من الأعلى بالمقرنصات،ومحراب جامع المهمندار من الحجر الأصفر وله عمودان بتاجين مقرنصين على كل جانب من المحراب عمود، قوس المحراب مدبب على شكل حدوة الفرس . انظر : وليد الأخرس: جامع المهمندار، ص١٥٢٩، ١٥٣٠ .

[١] ابن العجمي: كنوز الذهب،ج١، ص٢٥٨ ؛ الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، ١٤١٩هـ،ج٢،ص١٣٤ .

حسب بعض النصوص أن جار الله يوسف بن الأمير أحمد المهمندار ذكر أنه استبدل بهذا البيت مكانا، ومن شرط واقفه كتاب وقفه، أن يكون له جابيا ومعمارا وشاداً وقد ألحق فيه وعاملا وذلك في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م وهذا الجامع نير، كثير المياه،له منارة لم يوجد في مملكة الشام أحسن منها ولا في مصر أظرف منها، وله منبر من الرخام الأصفر وكذلك سدته، وهذه المنارة فيها من الصنائع من أولها إلى رأس قبتها بحيث أن الناظر إليها لا يميز حجرا من حجر من الأشكال المختلفة في نحتها وتركيبها ودرابزينها من الأحجار المخرمة ومن عجيب أمرها أنها مائلة إلى الغرب ،وقبتها وإلى جانب هذا الجامع مسجد قديم لم يغيره الواقف إنما جعله في جانب جامعه من الغرب وفتح بينهما. انظر : ابن العجمي: كنوز الذهب،ج١، ص٢٥٨ ؛ الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب،ج٢،ص١٣٤ ، ومكتوب في جانب باب هذا الجامع على يمنة الداخل : ملعون ابن ملعون من تعاطى تصوير ما فيه روح بقرب هذا الجامع أو برفع صورة ما فيه روح ليجمع الناس عليها أو يبيعها ومن فعل ذلك كان داخلا في عموم قوله "ص إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، والذي يلوح على هذه الكتابة القدم وهي خالية من التاريخ. انظر : كامل الغزي: نهر الذهب،ج٢،ص١٣٤ .

قرى حلب تاريخها ٨٥٢هـ/١٤٤٨م وشرط له في وقف الزيني عمر الصارمي بن الشهابي أحمد المؤرخ سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م قراء ومحدثين[١].وتولى أحمد بن رضوان الخطابة بجامع المهمندار[٢].

كما ساهم بعض المهمندارية فى توسعة وعمران بعض الجوامع الموجودة منها جامع الجاكي الذى زاد فيه الأمير بدر الدين محمد بن إبراهيم المهمندار، وجعله جامعا وأقام فيه منبراً في سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م [٣] .

الخلاصة :

كانت وظيفة المهمندار أحد أبرز الوظائف فى هيراركية النظام الإدارى فى العصر المملوكى ، تأتت أهمية هذه الوظيفة من المنطلق الإدارى العام الذى سارت عليه السلطة فى فترات متعددة وهو تفويض بعض الصلاحيات وتوزيع المهام ، كما سمح النظام الإدارى المملوكى بالجمع بين وظيفة المهمندار وبعض الوظائف الأخرى ونظراً لأهمية ومكانة المهمندار فقد تطلب الأمر شروطًا تتعلق بمكانته وإمكاناته اللغوية والمظهر ووضعه الإدارى السابق على تقلد المهمندارية ، بالإضافة لصفات جسدية وصفات افتراضية أخرى فضفاضة رأى الباحث أنها من قبيل صناعة الصورة الذهنية للمهمندار كأحد أبرز موظفى الدولة ،هذه الصناعة كانت برعاية النصوص التاريخية لصاحب المنصب العام فى المتخيل العام لمؤرخى العصر المملوكى .

---

[١] كامل الغزي: نهر الذهب،ج٢،ص١٣٤.

[٢] السخاوي: الضوء اللامع،ج٢،ص٥٣؛ ابن العجمي: كنوز الذهب،ج٢، ص٢٠٤ .

[٣] كان هذا الجامع بدرب الجاكي عند سويقة الريش من الحكر في بر الخليج الغربي، أصله مسجد من مساجد الحكر، ثم ، فصار أهل الحكر يصلون فيه الجمعة إلى أن حدثت المحن من سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، فخرب الحكر وبيعت أنقاض معظم الدور التي هناك، وتعطل هذا الجامع من ذكر الله وإقامة الصلاة لخراب ما حوله، فحكم بعض قضاة الحنفية ببيع هذا الجامع . انظر : المقريزي:الخطط المقريزية،ج٤،ص١١٩ .

تأتت أهمية هذه الوظيفة من طبيعة عملها البروتوكولى والحساس من حيث التعامل مع الوفود الرسمية القادمة فى مهام دبلوماسية ، وتنظيم واستقبال هذه الوفود والعمل على جعل إقامتهم فى مصر إقامة متميزة مضيافة كشكل من أشكال التعبير على حجم مصر كدولة مستضيفة وما يمكن أن تقدمه لضيوفها وبالطبع فقد كان المهمندار مسئولاً عن كل هذا ، وبالإضافة للمهام البروتوكولية فقد تم تكليف بعض المهمندارية بمهام ذات طبيعة خاصة من قبل السلطان رأساً ، كل هذه المهام أدت لاتساع صلاحيات المهمندار ورسوخ قدمه فى الخريطة السياسية والإدارية فى المجتمع المملوكى ، فضلاً عن اتساع دائرة علاقاته ونفوذه ، فاكتسب وضعاً اجتماعياً مميزاً انعكس على حياته ومكانته والسعى الدائم للتقرب منه والعبور من خلاله لتحقيق مصالح ومكتسبات .

بالإضافة لذلك فلم يكن عمل المهمندار سياسياً أو إدارياً قحاً ، فظهرت أدوار حضارية أخرى لا تقل أهمية عن أعمالهم السياسية ، وبشكل واضح فقد كانت لهم بصمات ملموسة فى النواحى العمرانية ، فضلاً عن النزوع الثقافى لبعض الأسماء المرموقة منهم والتى كان لها دور ثقافى وفكرى مميز .

وفى الأخير فإن وظيفة المهمندار بما شكلته من صلاحيات ومهام وخصوصية اجتماعية وما قام به صاحبها من مهام وتكليفات استثنائية شكلت رقمًا صعبًا فى معادلة نظام الحكم والتراتيبة الإدارية وتفويض بعض صلاحيات السلطة فى مصر فى العصر المملوكى .

الملاحـــــق

ملحق رقم١

نسخة طرة توقيع بالمهمندارية بالشام لغرس الدين خليل الطناحي [١]

وهذه نسخة طُرَّة تَوْقِيع بالمِهْمِنْدارِيَّة بالشام المحروس، كُتب به لـ«غرس الدين خليل الطناحى» وهى :

تَوْقِيعٌ كريمٌ باستقرار الجناب العالى، الأميرى، الكبيرى، الغَرْسِى، عَضُد الملوك والسلاطين، خليل الطناحى، أدام الله تعالىٰ نعمته، فى وظيفة المِهْمِنْدارِيَّة الثانية بالشام المحروس، عِوضًا عن حُسام الدِّين حَسَن بن صارُوجا، بحُكْم شُغُورِها عنه، لما اتفق من الغَضَب الشَّريف عليه، واعتقاله بالقَلْعة المنصورة بحَلَب المحروسة، علىٰ أجْمل عادة، وأكْمل قاعدة، حسب ما رُسم به، علىٰ ما شُرِح فيه.

[١] القلقشندي: صبح الأعشى،ج١٢، ص٢٩٢ .

ملحق رقم٢

توقيع بالمهمندارية بحلب لغرس الدين الطناحي [١]

قَصْدًا وأطاب نَفْسًا، ولا بَرِحت عنايته تشمل من أولياء خِدَمها كلَّ شَهْم اذا سل عضبا أزال نفسا وأسال نَفْسا ، وتُعَيَّن من أعْيانِهم كلَّ جميلٍ يَودُّ المُنافِسُ لو شاهده ولا تَجْسُ يَدُ الرُّقِّ منه نَفْسا ـ أنْ يستقرَّ ... ... لأنَّه ذُو الهِمَم التى لا تُلْحَق جيادُها، ولا تُسْبَق جَوْدةً جِيادُها [(١)] ؛ لا مُنْتهىٰ لِصغارِ هِمَمه فأنَّىٰ تُدْرَك كِبارُها، ولا تُدْرك سَوابِقُه فأنَّىٰ تُقْتفىٰ آثارُها؛ له قَدَمُ إقدامٍ فى الثَّرىٰ لا يزال [(٢)] رَاسِخا، وهَامةُ هِمَّةٍ لم يَزَلْ شَرفُها على الثُّرَيَّا بَاذِخا ؛ ولأنَّه الفارِسُ الذى تُفُرِّسَتْ فى مخايِلِه الشَّجاعه ، وتَبَضَّعَ الشَّهامةَ فى الحروب فكانتْ أربَحَ بِضاعَه ؛ كَمْ أزْرتْ سُمْرُ رِماحِه بِهِيفِ القُدود ، وأخجلتْ بِيضُ صِفاحِه كلَّ خَوْدٍ أُمْلود ؛ وكَمْ جُرِّدت من مُطْرِبات قِسِيِّه الأوتارُ فتراقَصتِ الرُّءُوس، وشَرِبتِ الرِّماحُ خَمْرَ الدِّماء فعَرْبدتْ على النُّفوس:

له هِمَمٌ تعلُو السَّحائِبَ رِفْعَةً ، * وكَمْ جاد منها بالنَّفائِس والنَّفْس!

وتُجْنىٰ ثِمارُ الفَضْلِ من دَوْحِ غَرْسِه! * ولا غَرْوَ أن تُجْنَى الثِّمارُ من الغَرْس!

فلْيباشِرْ هذه الوظيفةَ مباشرةً تَحْمَده فيها الوُرَّاد ، وتَشْكره بالقَصْدِ ألْسنةُ القُصَّاد، وتَذْكُره البَرِيديَّةُ بالخير فى كلِّ وَاد ؛ ولْيُهَيِّئْ لهم [من القرىٰ ما يهيِّئُه [(٣)] المَضِيف ، ولْيحصِّل لهم التَّالِدَ منه والطَّرِيف، ولْيتلقَّهم بوَجْه الإقبال ، ولْيبدَأْهم بالخير ليحْسُن له المآل، ولْيجْعَلِ التَّقْوىٰ إمامه فى كلِّ أمرٍ ذِى بَال ، ولْيتَّصِفْ بالإنصاف فهو أحْمَدُ الأوصاف فى جميع الأحوال .

---

[١] القلقشندي: صبح الأعشى،ج١٢،ص٤٣١ ، ٤٣٢ .

اللوحات

لوحة ١ [١]

[١] فرج الحسيني: نقش كتابي، ص١٠٨ .

لوحة ٢ [١]

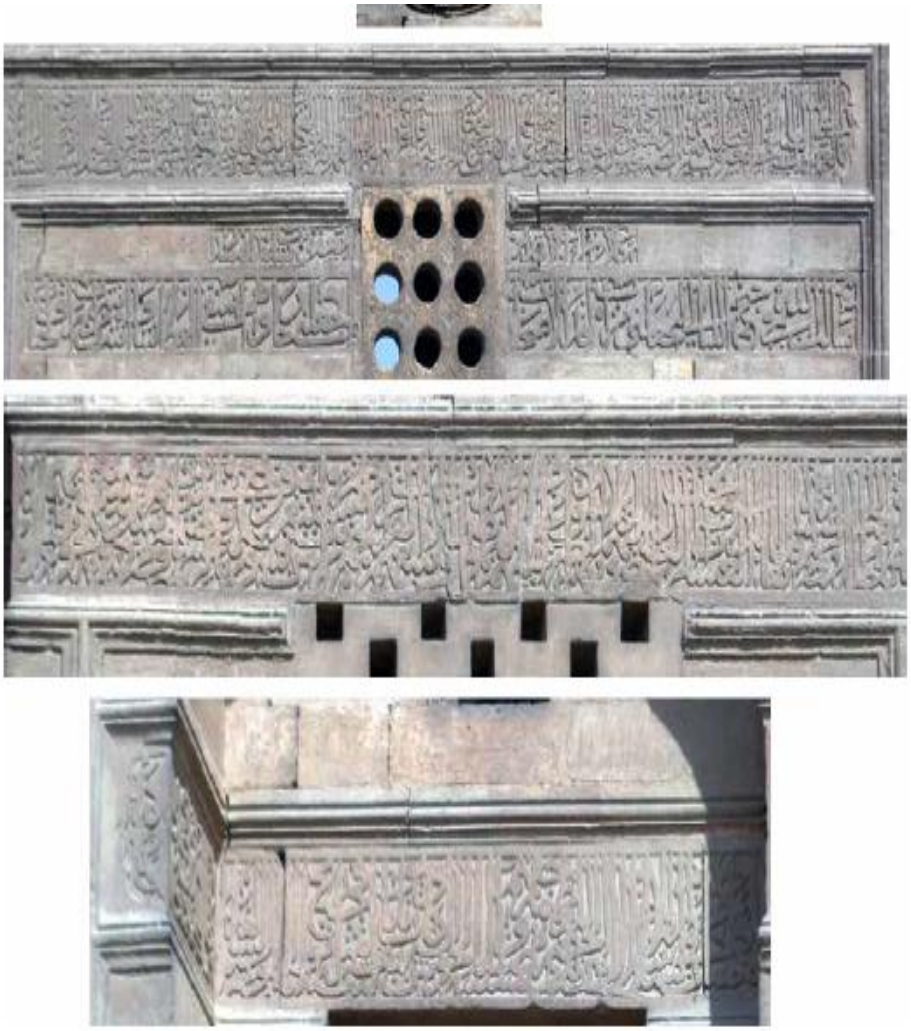

[١] فرج الحسيني:نقش كتابي، ص١٠٩ .

لوحة رقم ٣

جامع المهمندار [١]

[١] وليد الأخرس: جامع المهندار، ص١٥٤٢ .

ملحق (٣)

أبرز أسماء من تقلدوا منصب المهمندارية فى مصر والشام فى العصر المملوكى

فى مصر :

المهمندار نكباي البريدي أحد مماليك السلطان المنصور قلاوون [١] .

الأمير جمال الدين بن المهمندار أيام السلطان الصالح علي بن قلاوون[٢] .

أحمد بن آقوش العزيزي نقيب الجيوش بالقاهرة ولي المهمندارية في فترة حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون الثالثة [٣] .

الأمير تمر المهمندار عصر السلطان الناصر حسن [٤] .

الطواشي هلال الظاهري الرومي سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م[٥] .

المهمندار اقطوه الموساي مهمندارا في دولة الأشرف برسباي [٦].

قانباي اليوسفي المهمندار في عهد السلطان الأشرف إينال [٧] .

يعقوب شاه بن أسطا علي .

الأمير أزدمر المهمندار بعد وفاة يعقوب شاه سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م [٨].

---

[١] المقريزي: السلوك ،ج٢،ق٣،ص٧٩٧؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج١٠،ص٢٤٢ .

[٢] ابن تغري بردي:المنهل الصافي،ج١،ص١٨١ ، ١٨٢ .

[٣] ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة ،ج١،ص٩٢؛ حسن الباشا: الفنون الإسلامية،ج٣، ص١١٥٤.

[٤] الذهبي:العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت، (د.ت)،ج٤،ص١٨٩

[٥] سعود محمد العصفور: الوظائف التي تقلدها الخدم في العصر المملوكي، بحث منشور مجلة التاريخ والمستقبل، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا، عدد يناير، ٢٠٠٨م، ص٣٣١ .

[٦] ابن تغري بردي:المنهل الصافي،ج٣،ص٦ ،٧ ؛ السخاوي: الضوء اللامع،ج٢،ص٣١٨ ، ٣١٩

[٧] ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج١٦،ص١٩٤؛السخاوي: الضوء اللامع،ج٦،ص١٩٧؛ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٦،ص٣٨ ،٤٤ .

[٨] ابن الحمصي: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٠م،ج٢،ص٣٠٢؛السخاوي: الضوء اللامع،ج١١،ص١٨٠؛ابن شاهين الحنفي:نيل الأمل،ج٧،ص٢٨٥ .

فى الشام :

الأمير علاء الدين آقطوان المهمندار بدمشق[١] .

الأمير سيف الدين بلبان بن عبد الله الدوادارى المهمندار بدمشق[٢] .

الأمير حسام الدين لاجين الحموي المهمندارية بدمشق[٣] .

الأمير سيف الدين تمر مهمندارا بدمشق[٤] .

الأمير غرس الدين الطناحي مهام المهمندارية فى حلب [٥] .

أحمد بن عمر بن العطار مهمندارا حماة[٦].

الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك المهمندار في نيابة حماة [٧].

الأمير سيف الدين صاروجا مهمندار حلب نيابة [٨]

---

[١] اليونيني: ذيل مرآة الزمان،ج٣،ص٣٠٠،٢٩٩؛البرزالي: المقتفي ،ج١،ص٤٣٨؛ الصفدي:الوافي بالوفيات،ج٩،ص١٨٧؛ابن تغري بردي:المنهل الصافي،ج٢،ص٥٠٦ .

[٢] ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة،ج٢،ص٣٢؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج٩،ص٢٨٢ .

[٣] الصفدي:أعيان العصر،ج٤،ص١٧٨ .

[٤] الصفدي:أعيان العصر،ج٢،ص١٠٩ ، ١١٠؛ ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة،ج٢،ص٦٤ .

[٥] انظر ملحق رقم٢ .

[٦] السخاوي: الضوء اللامع،ج١٠،ص٢١٧ .

[٧] ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج١١،ص٢٤٦ .

[٨] المقريزي: السلوك، ج٤،ق١،ص٤٠٢ .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصـــــــــادر :

ابن إياس: (أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس) ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م.

١. بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

ابن أيبك الدوادارى: (أبو بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري) ت بعد ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م .

٢. الدر المطلوب في أخبار بني أيوب وهو الجزء السابع من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٧٢م.

٣. الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت رويمر، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦٠م.

البرزالي: (علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي) ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م

٤. المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.

ابن تغري بردي: (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي) ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م

٥. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق حسين نصار، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٦. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١١م.

ابن حبيب: (بدر الدين الحسن بن عمر بن حبيب) ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م.

٧. تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م.

ابن حجر العسقلاني: (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد) ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م.

٨. إنباء الغمر بأنباء العُمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٢٠١١م.

٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الطبعة الثانية،١٩٧٢م

ابن حجي: (شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حجي السعدي الدمشقي) ت٨١٦هـ/ ١٤١٣م.

١٠. تاريخ ابن حجي، تحقيق عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣م.

ابن الحمصي: (أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري) ت ٩٢٤هـ/ ١٥٢٧م.

١١. حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٠م.

الذهبي: (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان بن قايماز) ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م.

١٢. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

١٣. العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت، (د.ت)

السبكي: (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي) ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م.

١٤. معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٤٨م.

السحماوي: (شمس الدين محمد بن محمد السحماوي) ت ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م.

١٥. الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم المعروف باسم المقصد الرفيع المنشا الهادي لديوان الإنشا للخالدي، تحقيق أشرف محمد أنس، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٩م.

السخاوي: (العلامة الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م.

١٦. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

١٧. وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م.

ابن شاهين الحنفي: (زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين) ت ٩٢٠هـ / ١٥١٤م.

١٨. نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢م.

الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي) ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م.

١٩. الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٠. أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.

ابن طولون: (شمس الدين محمد بن على بن طولون الدمشقي) ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م

٢١. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

العجمي: (أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل) ت ٨٨٤ه/١٤٧٩م

٢٢. كنوز الذهب في تاريخ حلب،دار القلم ، حلب ، ١٤١٧هـ .

العمري: (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله) ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م

٢٣. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ .

الفاسي: (تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي) ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م.

٢٤. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبد القادر عطا ،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م .

أبي الفدا: (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر) ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م

٢٥. المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة ، (د.ت) .

القلقشندي: (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي) ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م

٢٦. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية بيروت، (د.ت) .

٢٧. ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر، مطبعة الواعظ، القاهرة، ١٩٠٦م.

الكتبي: (محمد بن شاكر الكتبي) ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م.

٢٨. فوات الوفيات والذيل عليه، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

ابن كنان: (محمد بن عيسى بن محمود بن محمد بن كنان) ت ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م.

٢٩. حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، ١٩٩١م.

ابن المبرد: (يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي) ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م

٣٠. إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة ، دار النوادر، سوريا، ٢٠١١م .

المقريزي: (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م.

٣١. السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ج٢، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٣٢. السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ج٤، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٣٣. المقفي الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م.

٣٤. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٨هـ

النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري) ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م.

٣٥. نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ

اليونيني: (قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونينى) ت ٧٢٦هـ /١٣٢٥م.

٣٦. ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي،القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢.

ثانيا: المراجـــــــــع:

أحمد عبد الرازق أحمد:

١. دراسات في المصادر المملوكية المبكرة، مكتبة سعيد رأفت، الزيتون، ١٩٧٤م.

أنطوان خليل:

٢. الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري (١٢٩٠- ١٤٢٢)، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٠م .

حسان الحلاق،عباس الصباغ:

٣. المجمع الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية دار العلم ، بيروت ،١٩٩١م

حسن الباشا:

٤. الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م

سعيد عبد الفتاح عاشور:

٥. العصر المماليكي في مصر والشام، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.

عبد المنعم ماجد:

٦. نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م

كامل الغزي:

٧. نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، ١٤١٩ه

محمد أحمد دهمان:

٨. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق،١٩٩٠م .

محمد قنديل البقلي:

٩. التعريف بمصطلحات صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندى، ط٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م.

محمود رزق سليم:

١٠. موسوعة عصر سلاطين المماليك، ط٢، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٦٢م.

ثالثاً: الدراسات والبحوث العربية

أحمد عبد السلام ناصف :

١. أغراض السفارات إلى مصر فى العصر المملوكى : القوى الإسلامية والمغول أنموذجاً ، بحث منشور بمجلة البحوث والدراسات الأندونسية ، ٢٠١٧ .

سعود محمد العصفور:

٢. الوظائف التي تقلدها الخدم في العصر المملوكي، بحث منشور مجلة التاريخ والمستقبل، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا، عدد يناير، ٢٠٠٨م.

فرج الحسيني:

٣. نقش كتابي بصهريج يعقوب شاه المهمندار بالقاهرة، يسجل مآثر السلطان قايتباي المعمارية والحربية،(٩٠١هـ/١٤٩٥-١٤٩٦م)،بحث منشور بمجلة أبجديات، العدد ١٣، ٢٠١٨م.

وليد عبد الرحمن الأخرس:

٤. جامع المهمندار"دراسة تاريخية وصفية" ، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر التاسع عشر للإتحاد العام للأثريين العرب :دراسات في آثار الوطن العربي، القاهرة، ٢٠١٦م.

رابعاً: الرسائل العلمية :

نجلاء مصطفى عبد الله شيحة :

الجاليات الأوربية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة بنى سويف ، ٢٠٠٧ .